ديوان بدران

الجزء الأول

معلقة الخروج «ساليدا»

النوارسُ تحكي غربتها



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

محمد أبو الفضل بدران

ديوان بدران

الجزء الأول

معلقة الخروج «ساليدا»

النوارسُ تحكى غربتها



الكتاب : ديوان بـــدران "الجزء الأول"
شـعـر

الكاتب : محمـــد أبـــو الفضل بـــدران

الناشـر : مـركــز الحضـــارة العـربيـــة

الطبعة العربية الأولى : ٢٠٠١

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٦٣٤٠
الترقيم الدولي : I.S.B.N.977-291-257-0

تصميم الغـلاف : محمـــود الهنـدى
جرافيـــــك : ناهـــد عبـد الفتـاح

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : ســـيد مكـــاوى
تصحيح : زكـــريـا منـتصـر
كمـال عبـد الرســول

الإهـداء

إلى أخى محمود

قصيدة لمَّا أكتبها بعد

معلقة الخروج «ساليدا»

جاء زائرا

أحسُّ يا صديقتي بأنني أموتُ مرتين
وأنني هناك واقفٌ
لعلّ آتيًا يروح للمدينة
فيعلن النبأ
ويسمع الملأ
وندفن الرفات في زماننا الخطأ
وتنتهي الحكاية الجميلة
يُسدل الستار،
نفترقْ
وأحترقْ
أحسّ يا صديقتي بالموت آتيًا على جواده
الموت ذاك من رأيته بقريتي
ناجيتُهُ، وعَدتُهُ
بحثتُ عنه في مدينتي
وفي ربوعها رأيتُه مهرولاً
ركضتُ خلفهُ
انحنى
تعبتُ فاختفى
فقلتُ ربما انتهى

لكنني أراه جاء زائرا
ويمتطي جواده الذي أعرتُه له
فينثني جوادهُ
صهيله عرفته
وَوَقْعِ خطوته
أتى الذي كم كنت أنتظر

أحسُّ يا صديقتي بأنهُ مزمجرٌ
لأنني وقبل أن أموت يا صديقتي
ناجيتُ باسمكِ
كتبت فوق روحي المبعثرة
حروفَكِ
فيصهل الجواد ؛
إنْ سمعتِه فزغردى
لأنه عن حبنا قد يفتح السِّتار !

قنا ٧ / ٤ / ١٩٨٦

قيل قد

قيل قد . . .
كان يَرقُبها فترقُبُهْ
كان يُعلنها فتكتمه
كان يحكي لها صامتاً
فتحكي له صمتها ، يفهَمُه !

وطالما ترنّما
بالصمتِ عندما
عيناهما تشاكيا
وربما تباكيا ؛
وبعدما تبرّما
من الجوى تكلّما
تحاورا وربما تجاورا
وبعدما تشاجرا
تعاتبا . . . تعانقا
وقيل كم تلاقيا
وقيل قد تلاشيا

وبينما . . . وبعدما . . . وطالما
وربما تهامسا
وقيل قد تلامسا
وقيل قد . . . لكنَما
بُعَيْدما تفرّقا
من الجوى تحرّقا

وربما . . . ظلّ وحيداً دونها
ظلّت وحيدةً كأنها
فليتهُ . . . وليتها
هوَ كأنّهُ
هى كأنّها
هُما كأنْ هُما

كان يرقبها فترقُبُه
كان يعلنها فتعلنُه
ظلّ يعشقها وتعشقُهْ !

العين ١٥/٣/١٩٩٩

معلقة العودة

عائدُ من رماد التضاريس
عائدُ من ضجيج النواقيس
عائدٌ... لم يعدْ مثلما كانَ
حينما كان يقرع بالدفّ، يرقص بالسيف،
يذكر وسط هذا الضجيج.
عائدٌ من بلاد الثلوج
دثّريني يا بلادى
زمّلونى يا صحاب
عائدٌ والقصيدة لم تكتملْ
دحرجتها السنون،
عاركتها الحياة
مزّقتها المحنْ

عائدٌ سوف يحكى عمَّا لم يكنْ
عن بلادٍ سوف تحيا وسط أشلاء الزمنْ
عائدٌ.. ما الذى قد تغيَّر فينا : نحنُ أم ذاك الوطنْ؟
عائدٌ فى فراغ التساؤل
فى شراك المحن.
عائدٌ، كاد يطويه الغرقْ
يمتطى زورقًا من ورقْ
وبقايا لحنينٍ؛ وبقايا لأرقْ.
لِمَ جئنا؟ سوف نمضى فى غدٍ
مثلما جئنا عرايا
وعلينا من خطايا
وسؤالٍ لا يُجاب.
لِمَ جئنا؟ إيهِ يا هذا السراب؟

سوف ينمو الدود من جثتنا
ثم يمضي لبقايا جمجمةْ
دسّها الفرعون في موميا أواني الأطعمةْ
ونقودٍ نقْشُها الفرعون يزهو وسط كلِّ الأوسمةْ.
عائدٌ ؛ شَيَّخَتني سنواتٌ آثمةْ.
ذوّبت قلبي خيالاتٌ
كلّ ما أملكه أسئلةْ
دونما أجوبةْ
وبقايا ذكرياتٍ عابثةْ.
ونقوش فوق قلبي:
لصبايا هامساتْ
بحروفٍ دامعاتْ
وعيونٍ سائلاتْ:
هل تُرى عاد هذا الفتى،
أو تُرى وسط منفى العشق مات؟

بون ١٣/١٠/١٩٩٥

تجربة

وحيَّتنى . . . فأوْمأتُ
وجاءتنى . . فرحبْتُ
فقالت لى : لماذا لا نجرّب أننا فى العشق ملاحان . . . وافَقْتُ
فقلت لها : ابدئى هيَّا
فقالت : قد تلعثمتُ
فقلتُ : هواكِ تيَّمَنى
فقالت : كمْ تعذبتُ
فقلتُ : الآن ملاحان
قالتْ : فيكَ أبحرتُ
فقلتُ لها : أرى عينيكِ فى قلبى
فقالتْ : قد تحسَستُ
فؤادى ا لآنَ فى عينيك متكئٌ
فقلتُ لها : إلى عينيكِ سافرتُ
فقالت لى : وفى عينيك غنيتُ

فقلت : فتاةَ أحلامى . . . . وأطرقتُ
فقالت لى : لماذا قد توقفَ صوتك الأسمى فإنى الآن أُظمئْتُ
فقلتُ : كفى ، ومعذرةً ، فتلكَ تجارب للحب
ليس الحبُّ ما قلت وما قلتُ
فقالت لى : وأَدْتَ الحبَّ فى قلبى ؛
فباعثتُ
هنا مدتْ يداً رجفى ، وبين يدىَّ أدفأتُ
فيثمرُ فى يدى النبتُ
ويحكى حبَّنا الصمتُ
وتبكى عينها النشوى
فتمسح فوق خديها دموعى حين أدمعتُ
تعانقنا
فما كانتْ ولا كنتُ ! !

قنا ٥/٦/١٩٨٨

أنا لا أشتاق إلى عينيكِ

أنا لا أشتاق إلى عينيكِ
فأنا مُلقى ميْتًا فى جفنيكِ
أو كيفَ لميْتٍ أن يشتاق ؟
وأنا وخيولى عند البابِ لأقرأ وجهكِ
أبصرُ صوتكِ
أسمع شوقكِ
أدخلُ كهفا
أحملُ سيفا
وتعود خيولى زحفا
لأخطَّ بعينكِ حرفا
يا ذاتَ العينينِ الوائدتينِ إدِينى فى عينيكِ ! !

قنا ١/١١/١٩٨٧

سيكون شيئًا رائعًا أن نلتقى

سيكونُ شيئًا رائعًا أن نلتقى . . .
كى نمنحَ الأشياء قيمتها الجديدة
سيكون شيئًا رائعًا أن نلتقى
ويكونُ أروع ما يكون . . . أن نختفى
أن نمنحَ الدنيا إلى طُلابها
أن نزرع الأسماءَ والأشياءَ والْـ . . .
فى دار ذاكرتى ونَمْتَحُ من بيار الحب رؤيانا السعيدة
كى نَطْمرَ الأشياء إن رفضت تجىء
ونحرّق الأيامَ ما لم يَصْفُ فى المدنِ البعيدة
ونعيد ترتيب القصيدة .

سيكون شيئًا رائعا أن نلتقى
كى نمنحَ الأشياءَ نكهتها الجميلة
ونروح نركضُ فى زوايا الغيب؛ نقتطفُ القصيدة
ونميل نحو الحانة الكبرى لنبتاعَ الحروفَ المستحيلة
ونؤلف اللغة الجديدة
من حروف الوجد،
نضبطها بإيقاع القلوب إذا فشت أسرارها
وغدت كبستانٍ تحرَّق كى يباعَ ببعض أثمانٍ زهيدة
يتراقص الحرف الجديد، يمدُّ أذرعَهُ، يحوط حروفَ عينيْك الوليدة
يتراقصان، فيعثران بأحجرِ الماضى، تذوب حجارة الآتى فلا
يبقى لدىَّ سواكِ - واحدتى - الفريدة
يتراقصان .... وثمَّ مَن يقفو الديار
فتملأ الأكوابَ أحرفُنا ونشربُ ما نشاء
كأننا ظمأى لآلاف القرون؛ كأننا ماءٌ بماء
وكأن ما قد كان جاءْ

وكأن ما لم يأت يُبعث من جديدٍ فوق أعيننا، نراه بأحرفٍ
ليست كأحرفنا
فلا ألفٌ ولا لامٌ ولا ميمٌ وياءْ
لا حرفَ إلا ما نكوِّنُه... نُكوِّنُ ما نشاءْ
لا الصمتُ أيقنَ ما نودُّ ولا الكلامُ براحتيْنا راح يسرى فى
الدماء
وكأنَ كلَّ قصائد الماضى مقدمةٌ تترجمُ شوقىَ الآتى
لأكتبَ فيك أشعارًا تحلِّق فى الفضاء
فتغدو أقماراً، طيوراً، دثَّرتنى عندما حلَّ الشتاء
فَرُحْتُ أبحثُ فيكِ عن نفسى وعن لغةٍ أعيدُ بها ترانيمَ
الكلام
وأستقى
من صمتِ عينيْكِ الحروفَ؛
ونرتقى....!
سيكونُ شيئًا رائعًا أن نلتقى.....!

العين ١٦/٥/٢٠٠٠

مجيء متأخر

وجئتِ الآن
تقتسمين أشلائي
وتحت جوادك الممشوق
تفترشين أحشائي ! !
أأنتقمُ ؟
فأبتسمُ ؟
أنا أغرودةُ الأحزانِ في وطني . .
وإني غنوة العشاقِ في زمني . .
أنا ميْتٌ بلا كفني !
أنا وطنٌ بلا وطني ! !

لماذا جئتِ والأبوابُ موصدةٌ ؟
وهلاّ قد تقدمتِ ؟
لماذا قد تباطأتِ ؟
أتيتِ الآن في ساعات إدباري !
وفي يأسي وإعصاري . .
فلا الأفكار أفكاري
ولا الأحلام سُمّاري
ولا الأنغام أشعاري
لماذا جئتِ في زمنٍ
يبيع العشقَ والأوطانَ - سيدتي - بدينارٍ ؟ !

قنا ١٩٨٨

ملل

ملل .. مللْ
ستنام إن جاء المساء وأنت حيٌّ
كى تقوم مع الصباح إلى العملْ...
وتقابل الأشباح مبتسمين فى زمن الدجلْ...
وستغمض العينين فى الطرق القبيحة،
كى تفتِّحها على وجهٍ رحلْ..

وتحسّ أن حياتنا لعبٌ
وأن عقولنا رمز الخبلْ...
وستفتح التلفاز كى تجد الدماء بكل وديان الخليقة
إنه ألمٌ...
ما عاد حقًا يُحتملْ...

وتقابل الإخوان والأعداء، والمتجالسين على الحواف
المتهامسين إذا مضيتَ، الساكتين إذا أتيتَ
المادحين إذا حضرتَ، الناقدين إذا رحلتَ
الشامتين إذا فشلتَ، الحاقدين إذا نجحتَ
الفاشلين بكل شيءٍ غيرِ ساعات الجدلْ...
مللٌ.. مللْ
العمر يا ويلي رحلْ...
وإذا عرفتَ الركضَ فاركض يا فتى،
ولسوف يلحقك الأجلْ...
مللٌ... مللْ.

أسيوط ١٩٩٤

مريم !

مريم غائبةْ
لم تجئ مثل عادتها باسمة
لم تغب مذ عرفنا وجهها قاطبة
لم تكن ذات يوم غاضبة
مريم غائبة
مريم حدثتنى عن حزنها البارحة
بعدما ظلت ألف يوم صامتة
حدثتنى عن جروح جارحة
حدثتنى عن أبيها
عن طفولتها البائسة
حدثتنى عن أبيها الذى
خلّف أطفاله واقتنى ألف جارية
حدثتنى لم تجد من يسمعها
لم تجد أذنًا صاغية

مريم حدثتنى شاكية
لم تجد أمًا لديها
لم تجد أذنًا واعيةْ
مريم باكيةْ

مريم غائبةْ
لم يفارق صوتها وجهى
فى المساء اشتريت الصحيفة
وتمشيت قليلاً
وقبيل النوم قرأت الصحيفة
خبراً فى زاوية :
مريم قد تدلت من شرفتها جثةً هاويةْ !!.

العين ١٩٩٩

ترنيمة إلى Annemarie Schimmel

«كيف تتسلل امرأة وسط مملكة الله
أنا مجذوبك
أنا المجذوب بين ممالك العشاق،
وأنا المريد محمّل الأشواق»
يتجمع كل الأقطاب، الأوتاد، الأبدال،
ويأتي الخضر على سجادته
ويجيء ملاكٌ لا أعرفه فوق براق.
منشدنا «ابن العربي» يغني،
يتراقص مولانا الروميُّ،
وتمتد الحضرة حتى ننسى أنفسنا
ونذوب بحضرة مولانا،
نفني لـمّا نتواجد بين معيّته،
يتوافد كل الأقطاب:

أبو الحسن، ابن الفارض، والبدويُّ، الطيبُ، والبكريُّ، الجيلانيُّ، وإبراهيمُ البلخيُّ، ومولانا سيدُ هذي الطائفة جُنيد الله ويأتي من باب خراسان فريد الدين العطار، جلال الدين الروميّ

وأبصر في المجلس امرأةً ترفع عينيها ،
أسأل عنها ذا النون ، فينهرني :
– «أوَ لا تعرف رابعة العدوية يا هذا ؟»
– «معذرةً يا مولاىَ فكم ناءت عنّى الدارُ ،
وفى كل مساءٍ أدخل حانة ذكرى ،
تنفرط المسبحة ،
وتسّاقط حَبًا حَبا ،
فأذوب بوجدك حُبًا حُبا .
تُرفع كل الرايات ويصطف المجلس منتظراً مولاىَ حسين بن
علىٍّ ،
يقف الجمع إذا يُقبل وبصحبته امرأةٌ نعرفها ،
يلقى البركات على المجلس ، يصطفون ، يغنون ، يهيمون ،
وتعزف هذى المرأة لحنًا لا يسمعه إلا من صفّى القلب عن
الحقد ، عن البغضاء
لحن تسامح كل البشرية ، هذا قسيسٌ يتراقص ،
هذا شيخ مجذوب يتواجد
كل الأشياء تسبح لله

يتوقف مجلسنا قرب الفجر ويعلن مولاىَ حسينُ بن عليٍّ:
سنبدّل بعض الأقطاب ببعض،
القطب الآن أنَمارى شيمِلٌ.
- من يعترض على الترشيح؟
كل وليٍّ وافق، لكن مريداً إعترض وقال:
- لا تصلح تلك المرأة.
التفت الأقطاب وقال الغوث: «لماذا؟»
قال لأن المرأة شيمِلٌ لا تحمل حقداً فى القلب وأنا منذ وُلدت
أوزّع كل الأحقاد،
قال الغوث: «صبأت، وكنتَ كإبليسٍ «فأبى واستكبر..»
حلّت أنتَ عليكَ اللعنةُ
أمّا شيملٌ فعليها حتى يوم البعث تحلُّ البركات.

بون - بامبرج ١٤/٦/١٩٩٥.

سارُووِيوَا[1]

تقدَّم
وإن قيدوك فما أنت وحىٌّ
ولا أنت حىٌّ
ولا أنت ميْت
تقدم إلى الموت ،
ما أغمض الحارس الآن عينيْكَ ،
ما سدّ أذنيْكَ ؛
لم يقطعوا من لسانك شيئاً ؛
لديك الحواس
فما بين زنزانة السجن والشنق عمرٌ طويل
هنالك وقتٌ :
بين هذى المسافة والموت
بين تغميض عينيْك
بين لف الحبال على معصميْك

---

(١) الكاتب النيجيرى Ken Saro-Wiwa الذى أعدمته السلطة النيجيرية فى منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح ١٠ / ١١ / ١٩٩٥ فى سجن Port Hartcourt بتهمة الكلمة.

لديك من العمر ما تستطيع به أن تشمّ هواء البلاد التى
أسلمتك لجلادها وانثنت كى تجدد بيعتها ؛
ما الذى قد يضيرك - إن متَ - فى أن تكون ضحيتها ؟ !
هنالك وقتٌ : عندما يسألونك عن أمنية !
أنت تضحك من جهلهم بالمحال
فماذا يدور بعقلك ؟ أن يأتى الشعب ؟ . . . لو يفتديك ؟ . . . يا
لغباء الرجال !
هنالك وقتٌ طويلٌ يُخبأ وسط حروف السؤال !
هنالك وقتٌ سيدنو الخفير ليقرأ باسم العدالة ؛
أن إعدامك - الآن - حتماً لأن القُضاة العُدولَ قضوا ،
أن شنقك حقٌ
أن قتلك عدلٌ

... ثم يأتى السؤال عن الأمنية
لا تجبْ ... فقد يضحكون إذا ما أجبتَ
لك الآن ما تشتهيه
لا تقلْ واطرد الآن كل الحروف ولو راودتك
لتحكى للشعب عن أمنية.
كيف ترسم هذى القصيدة جمر عينيك عندما شدّ شعبك
حبل المشانق..
وارتفعت !
هنالك وقت ....!!

بون ١٠/١١/١٩٩٥.

هامش :

حاكمْ كلّ من قبلكْ
وقل رأيك
فهذا العمر عمرك أنت لا غيركْ
وأنت الشبل لا جدكْ
وإن شنقوك قل للعصر: يا ويلكْ!!............

في أسوان

مهداة إلى الشاعر أحمد حفني

إيه يا أسوان
كيف الحال والإخوان ؟
كيف قصيدتي ستروح وسط ثلوج أوربا
وكيف تنام في حضن الجبال لكي تضمخ وردة الأغاخان
كيف تروح أشعاري لتجتاز الحدود
وتحمل الأشواق للأحباب في كيما
وتمضي في طريق السَّيْل .
للحكروب[1] ، أو عند المحطة لاستراحة أطلس[2] .
كيف القصائد قطَعت كل الخرائط والفواصل .
كي تسافر للجنوب .
تصد ماء النيل عبر بحيرة الخزان
تمشي خلسة نحو الجنوب

---

(١) أماكن مشهورة في أسوان
(٢) حي في أسوان

أسير فى كل الشوارع، كى أشم الورد وسط جزيرة الأزهار
يلمحنى الخفير
ألديك تذكرة الدخول؟
أقول لا.. فأنا الجزيرة والحقول..
أنا المقالة والمقول..
أنا المتيم للقبول..
يأتى المدثر كى يصدق ما أقول..
آه يا حفنى
قد زاد شوقى من رسالتك البتول..
قد جف حلقى من ضرام الشوق للعقاد
لابن النون والنوبى
أهيم الآن وسط شوارع المدن التى لم تعتصر قلبى
وأرجع واحداً....
أدخل فى الحانة
كى أبصر نفسى اليقظ الواحد
فالباقون سكارى......
فتنادى السنيورة ذاك الحاضر
فأنادى الغائب عن عينىّ، الحاضر فى ذاتى
فيغنون : OLE OLE OLE

أدخل ساحة ذكرِى

فأردّد الله الله الله...

تتساقط حبات المسبحة

تؤلف سيمفونية ذكرِى

فيلحن أوركسترا بون سيمفونية بيتهوفن

فألحن:

أستخبُر الشمس عنكم كلما طلعت	وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
أحبابنا إن يكن طال المدى فلكم	قد قطع الشوق قلبى بعدكم قطعا
فلو مننتم على طرفى برؤيتكم	لكان أفضل شيءٍ منكمُ وقعا
لا تحسبوا أننى بالغير مشتغلٌ	إن الفؤادَ لحب الغير ما وسعا[1]

أرقصُ وسط الحانة

يتجمع كل صبايا بون

يتراقصن ويسألن:

بأى الآلات تلحن هذا الشوق؟

فأردد: أىّ الآلات تلحن هذا الوجد...؟

يقطع أوركسترا بونٍ سيمفونيته

يأتينى المايسترو كى يطردنى من وسط المسرح

أخرج يتبعنى كلّ الناس

ويبقى المايسترو وحده

يعزف للصمت

(١) الأبيات لشاعر آخر.

نخرج نتمشى بين الراين
أخلع أثواب الأشواق وأفرطها فوق الراين
أمشى وسط الراين لا تبتل الأقدامُ
بل ابتلت كل دموعى بالجمر
فأمشى فوق الراين
ألمح خلف البوندستاج مراكب شوقى تحملنى
فأرى نفسى فوق النيل
هذى نخلتنا
أرميها بالشوق فتلُقى بالرطب
وأشرب ماء النيل فإنى الظمآن

أنا أحتاج للإنسان فى الإنسان
أنا جسدى ينام الآن فى بونٍ
وروحى فى قنا
والقلب فى أسوان

بون ٢٠/١/١٩٩٥

الخلوة الربيعية

يا ابن بدران أيها المعتكف : احْذرْ من حسَاسيَة

الخلْوة فالحياةُ قصيرةٌ ؛ والخلوة تعززُ العدمْ

كرِسْتيان سزْكا

الصباحُ يدقُّ على الباب

لا بابَ هنا

فالأبواب بقلبك موصدةٌ

وأناالمعتكفُ بدارِالشهوةِ والأشواقْ

وزهرُ ربيعِ الكونِ يناديني

وأنا أبحثُ في قلبي عن فصلِ ربيعْ

وفصولُ القلب تربّع فيها فصلُ خريفِ الدهرِ

فلا خلوة في صحراءِ القلب ، ولا وقتَ ولا اطمئنانَ ولا . . .

أنا لستُ الراهبَ والمتصوفَ إذْ أعتكفُ ،

أنا أمشي في الأسواق فلا أبصرُ أحدا

أبتاعُ طعامي من بادية الحبّ

وأقتاتُ قصائدَ شعري

وأدَوّنُ فوقَ الرملِ وصَاياىَ فيأتي الريحُ ويطمسها

وأظلُّ وحيداً وأنا الجَمْع

وأنا كلُّ نقاطِ حروفِ الكونِ ، أنا الألفُ الياءْ

وأنا اللاَّ أنا إلا أنْ يُوجِدَني

هل يبحثُ ماءٌ عن ماء؟
بل يبحث ظبيٌ عن ماء!
والظبي تمرّدَ، أطلقَ ساقيْه إلى الرّيح،
ورحتُ أشدُّ وثاقَ خيوطِ غبارِ الريح.
أنا لا أحذرُ من تلك الخلوة
لكنَّ الخلوة تحذرني
سأعَكِّر كلَّ صفاء الخلوةِ وسأجمعُ مجذوبي الحضْرةِ،
كُنْهَ ملوكِ الأرضِ،
وقطعَ الخِرقةِ،
والشحّاذين، الفقراءَ، القُوادَ، الأمراءَ،
سأجمعُ ما لا يُجمَعُ أوْ يُفرَدُ أوْ يُطرَحُ أوْ يُقسَمُ أوْ...

وسأجمعُ كَيْنونةَ صِفْري!!

بون ٤/٥/١٩٩٦

أغنية للحب

ولماذا تَبْغى أن تَقْتُلَنى ؟
وتُسددَ كلَّ سهامكَ فى قلبى ؟
وتُخطط ليْلات كى تضعَ شراكَكَ لَمّا أجْتازُ طريقى ؟
فأنا إنسانٌ مثلُكَ
أصحو كلّ صباحٍ منتشياً بالفرحةِ والشوق
وأسمعُ مثلَكَ شَقشَقَةَ الطيرِ ؛
أغاريد الفرحة ؛
ألهُو مثلَك فى الأرضِ
وأزرعُ فيها وَرداً
فلماذا تزرع فيها لُغْمًا
ولماذا حين أمدُّ يَدىَّ إليكَ تشدُّ إليكَ زنادكَ فتصاحفنى طلْقَةْ !!
فأنا إنسانٌ مثلُك أحلم بالحبِّ وبالأرضِ الخضراء
لماذا نبتسمُ إذا نظرَ الأطفالُ إلينا ؟

ظنوا الأرض جمالاً وسلاماً حتى كبروا،
ألفوا الأرضَ جحيماً وحروباً وتراثاً من حقدٍ وجماجمَ يسألنا
عنها الأطفال:
لماذا قُتلوا؟
ولماذا خلفتم جيلاً من إرثِ الأحقاد؟
يفتش أطفالٌ في سترة مقتول لا يجدون سوى صورة طفل
منتظر لأبيه!
وقصاصة شعرٍ للزوجة والمحبوبة؛ لا يجدون سوى نظرة
عينين لائمة، سائلة هذا القاتلَ:
هل فكرتَ - وأنت تشدُّ زنادك - أنك تقتلُ إنساناً مثلكَ؛
يضحكُ مثلكَ؛ يبكي مثلكَ
إنسانٌ ذو عينين وذو شفتيْن وذو حُلمٍ مثلك
إنسانٌ يشعرُ بالفرحِ وبالخوفِ وبالحزنِ وبالحبِّ وبالناس
مَن يُدخل فرحةَ عيدٍ في قلب امرأة ثكلى؟
تنتظر الطارقَ؛ قد يأتي الولدُ المأمولُ!

وهذى أرملةٌ تنتحبُ بصمتٍ
يقتلُها التّذكارُ، تقلّبُ وسط ملابسها : هذا فستانُ ا لفرْحِ
وهذى صورتنا، فيشيرُ الطفلُ إليه، ويسألها : ومتى سيعود
أبى ؟!
تنظر فى عينيْه فتبصر دمعة !
كُنْ ماشئتَ ولا تكن القاتلَ والمقتولَ
كنِ العاشقَ والمعشوقَ
وخالفْ رأيىَ بالرأى وليس النار
فرمادُ النارِ يخلّفُ جذوةَ حقدٍ تشتعلُ بريحٍ حمقاء
سنزرعُ من كلِّ رمادِ الأرضِ زهوراً وحقولاً من حبٍّ تمرحُ فيها
الشمسُ
يغنى فيها الليلُ، فترقصُ أنجمهُ وبلابلهُ
ضعّ فى جيبك وردةْ
من حبٍ فى قلبك تنمو وتُظلّلُ سقفَ الأرض
تغنَى كلُّ البشرية أغنيةً لسلامِ الأرضِ وللحبِّ وللإنسانْ
فأنا إنسانٌ يبحثُ فيكَ عنِ الإنسانْ
وأنا نبتُ الحبِّ بكل بقاعِ الأرضِ؛ بكلِّ زمانْ
وأنا التوراةُ أنا الإنجيلُ أنا القرآنْ
وأنا مَن كرّمَهُ الرّحمنْ
وأنا إنسانٌ يبحثُ عن الإنسانْ

بون ٣٠/٥/١٩٩٦

ساليدا Salida [1]

معلقة الخروج

مهداة إلى سلمى الفاروقي ومحمد فياض

ومحمد عبدالرزاق وعبدالغني،

بسمة الفرح في سماء حزن الأندلس.

(١)

ساليدا
أولُ لافتةٍ تستقبلني
أأنا المقصود أم المقصود أبو عبدالله؟
يستقبلني صقر قريش
وملوك طوائف هذا العصر
فألمح لافتةً في مَلَقَة: ساليدا
مَنْ علّقَ هذى اللفظة في عينيّ؟
سَاليدا!

---

(١) Salida كلمة باللغة الإسبانية تعنى الخروج.

(٢)

ما جدوى أن تبقى الأسماء ودون مُسمّى؟
ما جدوى أن تبقى الجدرانْ؟
وماجدوى أن يبقى الصقر المنحوتُ على الأبواب
ولا يمتلك جناحاً للطيران؟
ما قيمة أن يبقى الإنسان بلا إنسان؟

(٣)

بقرطبة قد عرفتُ
كيف يبيع الزمانُ المدنْ!
وكيف تخون المساكنُ بُنَّاءها
وكيف تجيء المحنْ!
بغرناطة قد رأيتُ
كيف يبيع المكانُ الزمنْ!
ومن مَكْمنه
سيؤتى الفَطِنْ!
وكيف يخون الصديقُ الصديقَ
وكيف يُباع الوطنْ!

(٤)

ها نحن جميعاً فى ساحة توريرو Torero [١]
أبو عبدالله الأحمر وأبو عبدالله الأصفر
يدخل هذا الثور الأحمر يبحث عمن يلقاه ينازله
يهرب كل الجمع
أصفق للثور
ينظر نحوى يبتسم
ويدخل إكناسيو فيزمجر هذا الثور
الثور يلاعبه
ويجادله
لا يعبأ باللون
يصفق فرناندو
يغرس إكناسيو الرمح برأس الثور الآمن
ينتفض الثور
يطرح إكناسيو أرضاً
إيزابيلاً تصرخ
سقط الثور الأحمر وأبو عبدالله !
وأحنى القاتل قبعته
وقف الجمهور يحيى القاتل
ونسوا المقتول !
فتقبّل إيزابيلا فرناندو !

---

(١) مصارعة الثيران .

(٥)

كان أفضلَ ألا أجيئك يا قرطبة!
فما كنت أعرف
موت الزمان، وها قد رأيت الجماجم والأفئدة
وحتى رأيت الفناء على ساحة الأعمدة
وأدركت أن الزمان توقَّف في معبد
«كان يُدعى بجامع قرطبة»
هنا كان عبدالرحمن يبني
ويجلس متكئاً على السارية
كان يبني مجداً وكان الفناء يؤسّس مملكة فانية!!

(٦)

يصرخ الثور،
هذه صرخة الموت؛ أعرفها
يا أبا عبدالله أنقذ الثور
«ابك مثل النساء مجداً مُضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال»
يا خليفة هذا الزمان
أنقذ الآن شعباً ومُلْكاً
وزرْياب غنى له:
يا حارس البلادْ يا غاية المرادْ
لولاك ما أتى اللهُ بالعبادْ
فينتشي الخليفة:
- وأين شهرزاد؟

(٧)

سقط الهلال
وثبتوا خطيْن
يتعامدان على الوسَطْ
طلب الخليفة حينذاك
من شهر زاد بأن تهزّ له الوسطْ !

(٨)

يصعد الفارس مئذنة المدينة بالحصان
ويمتطى كل المدينة
ثم ينتحر الحصان

(٩)

فى متحف الثيران
علقوا القاتل منها
غير أنى لم أجد
رأس الفناء !

(١٠)

فتشت عن لوركا وعن قصائده
عن الجن التى تجىء إن غنى بقرطبة
فينصبون لى محاكم التفتيش !

(١١)

فتشت فى الحمراء عن قصيدة
تخص الشعب
ما وجدت !
لذا عرفت
أن السيد الهمام
كان كل الشعب بالتمام
«النصر والتمكين، والفتح المبين
لمولانا أبى الحجاج، أمير المسلمين»
فتشت فى الحمراء عن صورة لراعية
فما وجدت غير الأسود والخدم،
غير الجوارى والحشم !
لا غالبَ إلا الله
غلبتك الشهوة والنسوة والنشوة والقبلية والمرآة
وهلا قلت : ولا ناصرَ إلا الله.

(١٢)

يا عبدالرحمن
لو أشْركتَ الشعب معكْ
لو كان لشعبك ما لكْ
لفداك وما باعكْ
لكن لما بعت الشعب
وخصَّ المُلْكُ عيالكْ
وقبيلتك الأولى ورجالَكْ
نصب الدهر شراككْ
وفنيتَ وأخذ الأعداء المُلْكَ ومالَكْ

(١٣)

بيكاسو
أزعجتك الحروب
وخروج أجدادك من ملقة لم يلهمك
لترسم
لوحةً عادلة

(١٤)

لم يبق من قرطبة
غير شاهد قديم :

«بأربعٍ فاقت الأمصارَ قرطبةٌ ... منهنّ قنطرةُ الوادى وجامعُها
هاتان ثنتان والزَهراء ثالثةٌ ... والعلمُ أعظمُ شيء وهو رابعها[١] »

لم يبق غير الشعر
وكفّ من صاغه
بَنانُ ولادة ملامسٌ بَنَانه
يتناجيان ،
تهمس في أذنه :

«أغارُ عليكَ من عينى ومنّى ... ومنكَ ومن زمانك والمكان
ولو أنى خَبَأتُكَ فى عيونى ... إلى يوم القيامةِ ما كفانى[٢]

فيهمس فى أذنها :

«إن غبت لم ألق إنساناً يؤانسنى ... وإن حضرت فكلّ الناس قد حضر»[٣]

لم يبق فى قرطبة
غير شاهدٍ قديم
- واروهُ بين ساحةٍ مهجورةٍ - لشاعرٍ وشاعرة .
سأبيع أوراق القصيدة للعدم !

(١٥)

صَوّرينى
مع العجين الحجرى
وأدركت أنى ذكىٌّ غبىْ .

---

(١) مجهول . (٢) ولادة (٣) ابن زيدون

(١٦)

يا مجذوب
لماذا تأتى وسط حطام التاريخ
تزور الأضرحة الثكلى
عمّن تبحث؟
يا مجذوب
هل أنت ولى أو أنت بقايا جيلٍ منفى؟

(١٧)

يا أبا عبدالله الخارج:
تعالَ وارقصْ ديسكوتيكا
الحمراء الآن أنتيكا
اعزفْ يا زِرْيابُ موسيكا،
فجنة العريف أضحت فندقاً وبار أمريكا!
والجامع يُدعى "ملهى فيرونيكا"!!

(١٨)

يا مولاى:
- فرناندو جهَّزَ جيشا
وسيغزو ملكك يا مولاى
- مَن؟ فرناندو؟
ارقصى فلامينكو!!

(١٩)

فلامينكو
أتمشّى فى ساحة الرملة
كانت الفتيات يرقصن
دكّت الفتيات الأرض بأقدامهن
ودكت جماجم ابن الخطيب ونزهة المشتاق وابن زياد
وكنت الوحيد الطريد !
ينزّ الثرى ويخرج دم، وتعلو الجماجم
فى ساحة النصر
يختلط الرقص
بالدم والأوراق
تُذْكى النار أوراق الفتوحات
يا ابن العربى : لماذا لم تدون بسفرك هذا الفناء
تسيح البلاد ويأتيك رهط الملائك
ألم يخبروك بما سوف يأتى ؟
لماذا كتمتَ ؟ فيصرخ فىْ :
«أدينُ بدين الحبّ أنى توجهت ركائبه، فالحبّ دينى وإيمانى»[١]
تضرم النار بسّام الجزيرة، عمدة ابن رشيق، أقوال القصيدة
ترقص الفتيات
وسط الدماء ووسط الحريق
يضىء الحريق ظلامَك غرناطةُ !
ويبقى الفناء !

---

(١) ابن عربى .

(٢٠)

ساليدا
خذى كل شيء وارحلي
سأقيم فى مغارة على جبال السَّكْرُومُنْته[١]
باحثاً عن الباز[٢]
عنوانى مغارة الفقراء
وهويتى غرناطة
وإن أردت أن تتبعينى
فاسألى عنى ابن رشد
واسألى الوزّان[٣] عنى واسألى مجد الرياح !

(٢١)

«لو أستطيع
أن أملأ الأنهار من عذابى
لارتفعت مياه النهر للسماء[٤]

(٢٢)

سَاليدا
راحلٌ يا أبا عبدالله
بجيبك مفتاح بيت قديم
وذكرى الممالك
بذكراك مُلك مضى
فكيف تحمّلت هذا العذاب ؟

(١) Sacromonte الجبل المقدس المطل على غرناطة.
(٢) الصقر وتسمى المنطقة منطقة البيازين.
(٣) ليون الإفريقى (الحسن الوزّان)
(٤) J.de Paula.

(٢٣)

قلتُ: فلنعش فى الأرض أقوياء
فالضعفاء - يا صديقتى-
همُ الأغبياءْ

(٢٤)

سأفتى لكم
فتوى لم يفتها أحدْ
وأقسم:
بهذا البلدْ
سأفتى لكم فتوى
تأخرت قروناً خمسةً
ولم يجهرْ بها أحدْ
وربما تعيدُ الروح للجسدْ:
الحجُّ قرطبةُ!!

(إشبيلية - قرطبة - غرناطة)
الأندلس ١ - ٩/٦/١٩٩٦

قرُبَ الرّحيلُ

قرُبَ الرّحيلُ
وتلك أوراق الخريف تدوسها الأقدام
وغداً شتاء؛ وبيتنا الصيفى قد دكته كل عواصف الأحزان
والأرض فى هذى البلاد حدائق نسيت إرادتها
فماذا يا رياح بقوسك الحجرى؟
ماذا يا عواصف من سهام؟
كل الجبال حملتها
وكواهلى ناءت بأحزان المنافى
كمْ تقوَّس ظهرى الطينى من وجع المدائن والبحار
وأنا الغريب ببلدتى
وأنا وحيد الجمع بين الأهل،
جمْع الذات فى المنفى
ودُسْت على بقايا الذات فى ورق الخريف.

بون ١٥/٨/١٩٩٦

إني أحبك

«كلما قلتُ متى موعدنا؟
قالت: بعد غدْ
فإذا ما جاء بعدُ؛ قالت: بعد غد
ليت «بعْدُ» يأتي قبل «غد»

تعاليْ على ساعدى
ونامى فى مقلتىْ
فوجهك نهرٌ يغنى على ضفتَىْ
وغوصى لآلئ فى وجنتَىْ
فإني أحبك منذ الأجنة قبل الوجود
ولستُ أملَك عهداً علىَّ

وعذراً إذا قلتُ : إنى أحبكِ

لا ؛ لا أحبكِ

إنى أحبكِ ؛

لا ؛ لم أحبكِ

إنى أحبكِ

لا ؛ لن أحبكِ

إنى أحبكِ ؛ إنى أحبكِ

إنى أحبكِ منّى إلَىْ

خذينى شهيقاً حتى النخاع وحتى بقايا يدَىْ

على البعد قلبى يموت

لماذا أموتُ ؟

هلمّى إلىْ

قنا ١٩٨٣

قولى شيئاً يا كل الأشياءْ

قولى شيئا يا كل الأشياءْ
قولى همساً علّ الهمسَ يجاهرُ فى عينيك الأشياءْ
قولى جهراً علَّ الجهرَ يهامس فى أذنيك الأشياءْ
قولى : ماذا لو أنت بعيدٌ أو أنت قريبٌ . . ماذا تعنى الأشياء ؟
قولى إن جاءك عنى شعرٌ
فحروف الشعر رموزٌ، تلميحٌ نحو الأشياءْ
ماذا لو أنّا لم نعشقْ بعضَنا ؟
هل كانت تحيا الأشياءْ ؟
هل كان النهر سيجرى ؟
هل كان النفط سيخرج فى الصحراء ؟
قولى، لو حرفاً
لو صمتا !

ما أفصح من شفتيك صمتُ الأشياء
قُصِّي لي عن جرحٍ كان قديما
ما أبرأ سقمي غير يديك !
قصي لي عن وطنٍ في عينيك
قد جئتك كي أحصد ثمر الأشياء
ماذا لو جئنا هذا الكون بدون نساء ؟
ورضينا أن نحيا دون شقاءٍ ؛ دون عناءْ . .
ومضينا دون قيودٍ واستجداء ؟
لكنْ :
لو جئنا هذا الكون بدون نساءْ
لبحثنا عنهنَّ صباحَ مساءْ
وسئمنا هذا الكونَ
وحوَّلنا نصفَ الكون نساءْ
ولذلك خلق الله لآدم حواء
احكى لى شيئاً يا كل الأشياء . .

***

قولى شيئاً يا كل الأشياء
هاتى وجهك يدفئنى من برد الأشياء
لا تنتظرى فأنا فى يَمِّ الحب غريق
عيناك شاطئ كلِّ الأشياء
إن جاءت ساعات العمر ، وأبصرت الكون غريباً ، لا أبصر
فيه عيونك فلْتُحرق يا عمرى ، ولْتُسحن سنوات العمر
الآتى فى عينيك يا عين الأشياءْ
إما أن أحيا قربك أو أُوأد فى عينيْك يا كلَّ الأشياءْ
يا حلمى الأوحد ، يا أمسى الماضى ، يا غدى الآتى ، يا مرفأ عمرى
إنى شكّلتُك ، بعثرتُك ، لملمتُك ، فرقتُك ، باعدتُك ؛ أدنيتُك ، أغضبتُك ،
أرضيتُك ، مزقتُك ، أبرأتُك ، أشعلتُك ، هدأتُك ، أبحرتُك ، شطأتُك ،
واءدتُك ، عذبتُك ، أتعبتُك ، سامرتُك ، ساءلتُك ، جوَّبتك ، هامستُك ،
عنفتك ، أقصيتُك ، قربتُك ؛ هدهدتُك ، قطَّعتُك ؛ كاتبتك ، سطَّرتُك ؛
هاتفتك ، شيَّأتُك ؛ لكنْ
أحببتك من دون الأشياءْ
قولى شيئاً يا كلَّ الأشياء ! !

القاهرة ٢٧ / ١ / ١٩٨١

وحينَ التقينا

وحين التقينا أشاحت بوجه البراءة
قالت : وداعا ! !
ولملمتُ نفسي . .
«لمن يا ترى قد تُقام طقوس الوداع ؟
وهل ذاك وجهي يا صاحبي ، ووجهي منذ سنين تولى وضاع ؟
وقالت . . وقلتُ
- تعالَيْ نقصّ الحكاية من بدئها . .
- وهل ذاك يجدى ؟
فإن النهاية قد أوشكتْ
لأن القصيدة قد أُحرقتْ . .
وماذا ستحكي وأنتَ الذى . . ؟
فقلت : سأحكي فأنتِ التى . .
فقالت : أنا كنتُ لكنْ . .
فقلت : أنا جئتُ لكن . .
فقالت : لتمضِ ،

- أتترك ظلكَ وسط الغيوم يواجه قَهْر الظلام وعصف الرياحْ؟
- أتترك حلمك بين العيون وتصحو وما جاء ذاك الصباحْ..
فقلت : اعذريني.
فقالت : عذرتُ
فأنت الذى ذات يوم رأيتك يا فارسى
وفوق الجواد الذى كنت أَحْلَم.. ناديتنى..
فلبيت كالموج.. دثرتنى
منحتُك ما قد ملكتُ ومانحتنى..
وقُرب النهاية كان الجواد يراقص هذا الوجود فألقيتنى
وسط ليل طويل وودعتنى..
فناديتُ: بالله خذنى، فما رَدَّ هذا الجواد، تجاهلتنى
«وأشكوكَ منّى..
وأحلَم أن الجواد يرقُّ إذا ما قسوتَ وقد يَعْتَنى
فبالله دعنى.. فقد بعْتَنى..
أدرتُ بوجهى،

وكانت حروف القصيدة كالجمر يلهثُ في خاطرى
ظلمتُك هاك اعترفتُ
وجئتك لكنْ ضللتُ،
وأما جوادى فكم كان يلهو ولكن زجرتُ
فزمجر، ألقى بروحى تحت السنابك حتى انتهيتُ
فقالت: لك العمرُ يا قاتلى فانتبهتُ.
أتيت وعنفتُ نيلى فارتدَّ نحو الجنوبِ ويا كم ظمئتُ..
فقالت: سلافةُ روحى فداءٌ لظمئكَ يا شاعرى
فارتشفتُ..
فمالتْ، دنوتُ
فولّتْ، تبِعتُ
وتاهتْ، ركضتُ
فقالت: وداعاً..
... ومتُّ!!!

القاهرة ١٩٨٣

في ضيافة الخِضر

أيها الخِضر سلاماً في سلامْ إنما نحن نيـــامٌ في نيـــامْ
ربما لو جئتَ يا شيخي سنحيا وتدبُّ الروح في هذى العظامْ

وأتيتُ نحو الشيخ أستبق الطريق
وأستنير خطاى
قال الشيخ : يا ولدى احترس
فالحبُّ مرصوفٌ بشوك
فاخلعْ نعالك لا تخفْ
فالشوك شوق للرؤي

شيخي توضّأ في المياه الزمزمية
صلّى رُكيعات بمسجد قرطبة
وأتى جبال حُميثرا
ثم انبرى للوِرْد في الزيتونة الخضراء
ثم بكى لحيظات على قبر الجُنيد
وراح يسند من جدار الروح حين يريدُ أن ينقضّ
ثم أقامه

الله يطوى الأرض طىْ

«سائق الأظعان يطوى الأرض طىْ　　مُنعـمًـا عـرِّجْ عـلى كـثـبـان طىْ
قل تركتُ الصبَّ فيكم شبـحاً　　مـا لـه مما براهُ الشـوقُ فىْ»[1]

ها هو ابن الفارض انتصبت خطاه وجاء يطوى الأرض طىْ

قلتُ: يا بن الفارض اطوِ الأرضَ نحو القدس

(فلسطين عادت

ولم يبق إلا اختلافٌ على موضع للعَلَمْ

فلسطين عادت، وما عادت القدس

ما القدسُ إلا قريةٌ من ألمْ

لدينا ألوف القرى

فماذا إذا صارت القدسُ عاصمةً لأبناء عمْ؟!

فإما سلامٌ بذُلّْ؛ وإما حروبٌ ودمْ؟!)

يضحكُ الشيخُ المبجّلُ ثم يردف قائلاً:

حاذرْ من الأغيار، لا تخرجْ عن الأوراد

واخترقت خطاه القدس

---

(١) ابن الفارض.

يا شيخى تعالَ فربما قتلوك
لم أدر أن الشيخ نور من رؤى
لم أدر أن الكون كون من ورق
وإذا الوصول أردت يا ولدى احترق
قلت : يا مولاى تلك طريقة المعشوق
لكنى المريد وقد تقطعت السُّبُل
أنا لستُ سارية الجبل !
قال : انتظر
أوَ ما عرفت طريقنا
فطريقنا صبر
«فإنْ كنتَ في دعوى المحبة صادقاً تجردْ وقم وانهض إلى باب عزِّنا
فمشروبنا يحيا به كل ميِّتٍ ورضاؤنا يشفي العليل من الضنى»
قلتُ يا مولاى إنى واقفٌ بالباب
قال : كذبتَ ؛ ليس هناك من أبواب
- يا مولاى باب العشق
- قال :
العشق يا ولدى حضور فى الغياب
العشق يا ولدى فناءٌ فى اللقاء وفى الإياب
العشق يا ولدى مغايرة الحقيقة فى الصواب

قلت الآن أورادى ستحملنى إلى مرآك
- لا .. أوراد جسمك تقطع الطرق التى عرجت بروحك
هل تَمُنُّ بوردك المقطوع
بل إنا نمنَ عليك أن ..
قلت يا خضرَ الحقيقة إننى لست المريد بل المحب
فقال : اتبعنى ولا تسألْ
الله يأمر أن نذبّح ما تباقر من نفوس عاصية
فاخلع غرور الفانية
هى صيحةٌ ونكون يا ولدى الرفات العارية
فاقتلْ - مريدى - النفس ؛ لا تتركْ لنفسك ملجأ إلاّه
وخذِ الطريق إلىَّ
قلت الرؤية انطمستْ ملامحها
ولم يتبق من ضوءٍ سيأخذ مقلتىْ
قال : دعْ هذا علىَّ

قلتُ يا مولاى حين يجنَ ذاك الليل أو يرخي ستائره
أحنُّ إلى القبور
أحادثُ الأموات
يصطفون صفاً واحداً
وأروح فى شغف لأحفر قبر ذاتى
قال : لا تتعبْ
فحفَّار القبور يقوم عنك بما نريد
فقلت : أصير مشتاقاً ؛ أكفكفُ أدمعى
ويجفُّ ماء النيل فى حلقى
فقال الشيخ : قد قتلتك
ياءُ الذات
لا تقصصْ فهذا السرُّ سرُّ العاشقين
فأروح فى فرحٍ
لأبصر شيخى الخِضر المعمَم فى قبور الروح
يبحث عن عظامى فى مقام الواصلين

الأقصر ١٩٩٦

فى ضيافة أبى القاسم الشابى

سلام عليك أيا صاحبي

سلامٌ علينا

أمازلتَ وسط الجبال تسافر عبر النخيل وعبر الرمال ؟

أمازلت تنشد من شعبك الصعب ، تنشد منه المحال ؟

أم الآن أدركت أن الشعوب الأبيَّةَ محض الخيال ؟

إذا الشـعب يومـاً أراد الموات   فـلا بـد للظـلم أن ينتـشـر

ولابدَ لـليـل أن يبـتـدى   ولابدَ للعـدل أن يحـتـضـر

أمازلت يا صاحبى نائماً ؟

هو الموت أعلم

أم أن مثلك وسط الشعوب شظايا حجر

هو الموت أعلم

أم أنك الآن لو عشتَ أوقن أنك يا صاحبى تنتحر

هو الموت سيد كل الشعوب

بقايا التخلف والمنحدر

هو الشعب يا ليتك الآن حى

لتنظر تلك الحدود وهذى الحُفَر

بـ«توزر»[1] طاب المنام
غفوتَ وشعبك يا سيدى قد سكر
لتنظرْ يميناً، شمالا
شعوب كعدّ الرمال
ولكنها تحتضر
لماذا علوت الصخور
لكى تكتب الشعر
ترقب هذا النخيل الذى ينتظر
لتلقِ بنفسك فوق الصخور
فلم يبق إلا بقايا الحجر
وريم تقول: إذا الشعب نام فلابدَ من بعثه
- أيا ريم هذى رفاتٌ لحلمٍ قديمٍ مضى
فكل شعوبك قحطٌ ونفطٌ سُدى
أيا ريم ألمح فيك التفاؤل عبر عيونك تلك التى تنام العصافير فى حلمها.
وتسبح كل النوارس فى سحرها
أيا ريم هذا هو الفرق بينى وبينك
هذا هو المنتهى!

توزر - تونس ١٠/٤/١٩٩٣

---

(١) مدينة تونسية بها وُلد الشابى وبها دفن أيضاً.

على أطلال سور برلين

هذا العتيق قِفوا عليه وطأطئوا هذا الجدار
كم كان منبع حزننا
وغَفَتْ على جدرانه سُحب الغبار
والصخرة الصماء تقتل صمتنا :
هُبّوا العنوا هذى الديارْ
برلينكم بلد الخمور
بلد النساء العاشقات كما الزهور
ناحت فتاة مدينتي :
هذا الجدار فمزّقوه
وحذارِ لا .. لا تلمسوه
وبكاء غانية تحتُ بظلها
«قد مات إبنى فابعثوه»
إن عاد هتلر هاهنا فلْتقتلوه
قد كان رمزاً للدمار فحطّموه !
- ماذا أصابكَ ؟

ما أجاب

وخطا بكبرٍ واكتئاب

ويشير نحو السور في حزنٍ عميق

تمضي عصاه تدق هذا السور تسأل في اضطراب

«إدوارد» يا برلين قد ولّى وغاب !

إدوارد يا رمز المحبة

والمحبة كل شيء للبشر

لولا المحبة ما لمحت إدوارد في هذا المطر

ورأيتُ إكليلاً على قبر صغيرْ

وقرأت إسماً في طرازٍ من حرير

ورأيته إدوارد يبكي من جديد :

الحرب، هتلر، والدمار

إدوارد يا رمز المحبة ؛ ما دهاك ؟
عانقتهُ خوفاً عليْه
قبّلته فى وجنتيْه
والدمع يجرف مقلتيْه
قد كان يبكى الإبن من لهفٍ عليه
ومضى يغمغم فى جنون :
الأخ صوّب طلقةً نفذت إليْه
لـمّا أراد عبور هذا السور من شرقٍ لغرب

أنا ما بكيتُ على الغلام كما بكيتُ على الجدار
ورأيته الخنساء تبكى صخرها المقتول فى وضح النهار

السور يفصل بين أمى
بين إبنى فى المغيب
وعلا النحيب
وأخذتُ أهتف :
فاهدموه ؛ ولا مجيبْ ! !

برلين الغربية ٢٠/٨/ ١٩٨٠

قد بعتُ قلبي منذ حين

قد بعتُ قلبي منذ حينْ
فعلامَ أنتِ ستحزنينْ
ولسوف أروي قصتي لو تأذنينْ

جاءت تحدثني عن الشوق المتيَّم والحنين
تشكو من العشق المميت ؛ من الأنين
فسألتها : بالله عمن تبحثين ؟
قالت : ألستَ الشاعر المقوال ؟
فأجبتها : ودَعتُ شعري من سنين !
ورأيتها صمتتْ . . .
وكانت في مخيّلتي الإجابةُ والسؤال
– إني عشقتكَ يا فتى فارْحم قلوب العاشقين
وسمعتها صرختْ :

حـــسـبتَ الحب يا شــاعــرْ   كليــمـــاتٍ على الخـــاطرْ
تـردّدها بـلا مـــــعـنـى   فــأين الصـــدق يا جـــائرْ
أجـب قـلـبـي وأحــــلامي   فــإنكَ بالهـــوى غـــادر
وكــان بعـــينهـــا غـــيظٌ   ونـبـضُ فــــؤادها ثـائـر
ســألعن دائـمـــاً نفـــسي   وقلبي مـــات يا شـــاعـــر

ببحيرة الأقداس دار حوارنا
كانت تحدثنى عن الأشواق، عن روميو وآمون وإيزيس
وسمعتُ طيفاً قال :
يا آمون
نحن بحضرة الرب العظيم
إنا نصلى كى يظل حبيبنا رمز الوفاء

- أنا يا فتاتى قد فهمتك فاعذرى
- وعلمت ماذا تقصدين
- وعرفت أن العشق إن ولّى فلا شمس بكوكبنا ستشرق بالحنين
ورأيتُ أن الحبَ محرابٌ على مرِّ السنين
وعذرتُ قلبك فى هواه
أليس قلبك قد تقطع من ضرام العاشقين؟

لكنَّ قلبى يا فتاتى
قد هام من زمن بعيد
بغرام ملهمة المحبة والقصيد
إنى فُتنتُ بحبّها
إنى وقفتُ ببابها
أشدو بتغريد الطيور
وأخاطب الإنسان فى مرّ العصور
وأصادق الأفلاك والنجم المتيّم والزهور
وأرى بسحر عيونها هذى الدُّنا

فالعشقُ مرآةٌ لنا
والحبّ في قلبي أنا
والصدق في شعري هنا
ولعلَّ صبرِكِ قد ونى
وكرهت من فمي الخطاب
أنا لستُ أملك أن أجيبك بالنفاق وبالسرابْ
وعذرتُ فيك صبابةً أملتْ على قلبي العذابْ
أوَ ليس قلبي شاعراً، عشق الحقيقة والصحابْ
عفواً إذا ما قد سكتُّ وآسفاً طال الجوابْ
مهلاً - فتاتي - فدمعُ قلبك لي عذابْ ! !
لكنني . . .
قد بعتُ قلبي منذ حين ! !

المنيا ٢٨ / ١ / ١٩٨١

لا تُقسمي

لا تُقسمي؛ حرفُ البراءةِ قد تلاشى من عيونكِ واختفى!

قنا ٢٢/١١/١٩٨٣

أبى يلومنى

أبى يلومنى
مذ جئتَ للحياة تقرأ
وتقرأ
أنفقتَ كلَ ما لدىَّ فى قراءة الكتب
عيناك كادتا .....
لو كنت تاجراً تغيرت أحوالنا
فأمّنتْ أمى على قوله ووافقت وهمهمتْ :
- تاجرن - بُنَىَّ - تاجرنْ !

فكرتُ في أحوالنا
وقلت لاعناً : سأهجر الكتب
لأغدون تاجرا
غداً أروح نحو سوقنا
- ماذا أبيع ؟

ماذا أبيع ؟
لا شيء عندنا
فكرتُ في بلادنا
ماذا أبيع ؟
لا شيء في بلادنا . .
فنمتُ باكياً
وعندما صحوت
قررتُ بيعَ مَنْ ؟
بيعَ الوطن ! !

أخذتهُ معي
وسرتُ نحو السوق والجميع يضحكون
يهمهمون : ويله من بائعٍ مجنون
وسرتُ لم أعبأ بهم
وعندما وصلت وسط السوق قلتُ صائحاً :
من يشترى الوطن ؟ ؟
فهرول التجار لاهثين
وقلبوه . . مصمصوا :
لا شيء فيه يستحق المال والثمن . .
قلتُ لهم : أمجادنا . . أجدادنا . . تراثنا . . غناؤنا . . تاريخنا .
فرددوا : ممزق ؛ . . . ؛ مباع !
وعندها صرختُ في وجوههم :
من يشترى الوطن ؟ ؟
وأدفع - أنا - له الثمن ؟ ؟

بامبرج - ألمانيا ٩ / ٨ / ١٩٩٨

بَعُدت ديارُكَ يا فتى

بَعُدت ديارُكَ يا فتى
لا نخلةٌ في الأفْقِ تقتسم المدى
كلٌّ الذى نبغيه قد أضحى سُدى
بالأمس قد نزلوا
وقد رحلوا غدا

بَعُدت ديارُكَ يا فتى

لوكسمبورج ١٩٩٦

أقوال متناقضة لإيزيس

ما كان كان ولن يكونْ

فالأرض فى دورانها تبغى السكون

فطويتها وقذفتها عبر المدى

ورأيتُ أن قصائدى راحت سُدى

سجّان أسوارى يعنّف كلّ من قد مرّ فى تلك المدينة ذات يوم

والتفت الجدران حول قصائدى . . . فتحطمتْ

هرولت نحوى شواطئى . . فتناثرتْ

أبحرتُ عبر مراكبى . . . فتماوجتْ

– أوزيريس لا ترجع ولا تجمعْ شتات رفاتك الصغرى
ومت إن كنت حياً موتةً كبرى
ولا تُبعثْ
فإيزيس العشيقة فوق عرشك هائنة
ألقت بصندوق الهوى ؛ عبثت به
قد أشعلت بقصائد العشق المدافئ حيث مولانا المُمَلّك شاء
أبحرْ ولا ترجعْ إلى تلك المدينة حيث كُهّان المعابد أوعزوا للشعبِ:
أنك قد أسرت بلادهم
خبّأت في طيّات عرشك رزقهم
بعت السماء وأرضهم
– آموت كاهنُنا المصَدّقُ قال ذلك !

- يا سيدى هم يسجدون لمن حكَم

- أو لمْ يروْا إيزيس عند النيل تسجد لى وتأتى السُّحب كى تُروى الحقول ؟

أو لمْ يرها عندما كانت تغنى قرب معبدى المقدّس دائما بقصائدى

أو لم يروها - فى بحيرتى المقدسة التى باركتها - تشكو إلىَّ لهيبها

إن البحيرة - آنَها - قد أزبدت ولعلها علمت بكذب حديثها

أنا لا أصدق أنها سلّتْ خناجر حبها ومضتْ إلىْ

وقضَتْ على جسدى ؛ على حبى الذى خبَّأتهُ فقضى علىْ

ما عاد لى أمل أعود به

وحبى فى ثنايا الموج قاتلنى ومزّقَ ما لدىْ !!

قولوا لها :

- أوزيريس لم يندمْ على التيجان والكهان ؛ لم يعتبْ على
سجع القُداس أو القصيد
هو فى بحار النيل وسط رفاته يمضى
يسافر فى مراكب شمسه عبر النجوم مع السحاب
هو لم يزل يهذى بأشعارٍ ستُنحتُ فى المعابد ؛ سوف تُتلى
فى القداس :
"أوزيريس قد عشق الحبيبة"
والجوقة الكهان سوف يرتلون :
إيزيس قد خانت فتاها
باعت جواد العشق قد فقدتْ مُناها
لا عذر يجدى بعدما قتلت هواها !!
- عُد يا سحاب لتحمل الأشلاء
ولْترحلى - أشلاءه - عن تلكم الأرض المدنسة الخراب
إن السحاب إذا تساقط لا يعود
عودى إذا عاد السحاب !!

العويضات ٢٣ / ٩ / ١٩٨٣

نسيتُ أن أقول

نسيتُ أن أقول كلمةً حفظتُها
نسيتُ أن أقولَ أحرفاً زرعتُها
فأنبتت قصيدتى
وحينما رأيتها ردَّدْتُها
أشجارنا ، زهورنا ، أحلامنا ، ظلالنا تقولها

طويتها ، وفى سحابةٍ خبَّأتُها
مضتْ سحابتى وفوق بيتها
توقفتْ وأمطرتْ حروفها

لذا هممتُ أن أقولها :
نسيتُ أن أقول : "إننى أحبكم"

فيينا ١٨/٧/١٩٩٩

إهداء

إلى قصيدة "ذكريات اليوم الأول بعد القيامة"

التى أرهقتنى فعشقتها ..

وإلى ذلك الوجه الذى كنت أرسمه كالنوارس

إلى محاسن ..

محمد

مدد

قال الرب

وما علمناه الشعر ..

هام المجذوب وقال :

معذرة يا مولاى

علمنى الشعر

بينى وبينك يا وطن

أرجوحة ظل يا وطنى ..
هذا زمنٌ لا يصلح زمنا ..
إنى أتساءل أىَّ الأسماء لديك أيا وطنى ..
هذا زمن يحيا فيه الناس بلا أسماء
فاخترْ إسمك
واحفر إسمك فى كفك
لا تُسلمْ كفك للغير فقد تصبح يوما
وتصافح أحداً .. لا تبصر كفك
فاختر إسمك
لا تترك قومك يختارونه ..
فسيفنى جسدك وسيبقى إسمك .
فلماذا تفنى "أنت" ويبقى ما اختاروه ؟!

لا تترك ظلك يمشي خلفك
قد تخطو يوماً يعتدل الظل ليُسْلم رأسك للسياف ،
فقطّع رأس الظل وكوّنْ منها مقصلةً للسياف !!
هذا زمن يتوارى فيه الرجل بظلّ النملة كي يبحث عن وطنٍ
مفقود
عن وطنٍ كان ينام بطيات ملابسنا ..
هذا زمن يولد فيه الطير بلا أجنحة ليعيش عبيد الأرض ..
وهذا زمنٌ تقرأ بالعين اليمنى حرفاً تبصره باليسرى حرفيْن
..
تصحو كي تبصر وجهك في المرآة فتلمح وجهيْن
فتحسسْ وجهك كل صباح
وتأكد أنك تمشي فوق اثنين !!
وتأكد أنك - يا وطني - حيٌ ..
أو أنك بين الـ "بيْن" ؟!

العويضات

الحروف

الثلج المتساقط فى أعماقى
ينبئ أنى لا أهواك ،
لكن الحلم يسافر بين ضلوعى ، يقسم أن الليل سينفض
أجنحة الطير المبتلة ،
آه .. لو أغدو طيرا يتطهّر فى نيلك من أوزار الغسق الغجرى ،
ومن أدران الحلم المتهالك شهبا والمتساقط فوق نيازك هذا
الليل المذعور
فمن يتجلى فى ذاتى ؟
أو أتجلى فى النورس كى أبحر نحو النيل ، فيبتل جناحى
فاكهةً ، أبًا ..
وأحلّق فوق "الأزهر" كى أنفض أوزارى أو أرتاح قليلا مما
حملته يداى
فظلى لا يعرف للنوم فؤاداً مُذْ أُغلق باب الهرم وقلبى لؤلؤةٌ
نائمةٌ فيه ،
ومهما سافرت فإنى ذاك النورس ، مَن تسأله عن عش فيؤلف وطنًا
من أسفار التكوين ويبنى من ظلى وطناً فأنام بظلى ..
كى أُبعث يوماً فى وطنى !!

الحرف الأول :
هذا صوت عربى
ألقى مجدافى فى شاطئ ذاك الصوت ،
فمذ رحل الصيف ببلدتنا ، وتناسى الناس الحلم المتراقص فى أوردتى ،
وأنا أسأل عن صوت عربى . .
هذا صوت عربى مرسومٌ بين شراييني ،
آخذ وجعى مستنداً فوق جدار يوشك أن يُبنى
لكن عيون الصوت تسافر فىّ وتبنى منتجعا
فأسارق طرفى كى أتقمص شفتى فألثم هذا الصوت المتنامى عبر يدىّ . .
فألمسه ، آتى مقترباً فوق سجاجيد الهمس وأسألها : مرحى . . من أى بقاع الأرض أتيت ؟
فتجيب بصوت عجمى :
- ماذا كنت تحدث نفسك إنى لم أنطق منذ رأيتك حرفا !!

الحرف الثانى :

ها أنا ذا فوق "الراين" ملتحفاً بالحزن ، أغنى فى أغلفة الصمت الثكلى

أجمع شمل حروف اللغة ،

وفوق الرمل - صبيًا - أبنى منها بيتا

يأتينى الموج فيسرق حرفين ،

فأركض إثر الموج فيلقى ما قد سرق ،

أضمد جرح الحرفين وأرجع لكنى أُلفى ما قد جمعت تلاشى

إذ حفرت كل حروفى سرداباً نحو النيل ، وتمضى

ألقى بالحرفين إلى الموج وأغدو حرفا !

الحرف الثالث :

ماذا يتبقى في ذاكرتي غير حروف شتى

تتجمع كي تتلاقى وتؤلف من هيكلها اسماً لحبيبي .

أبصره ...

نتجاذب أطرافَ الحرف ، ونلعب فوق حروف الصمت ،

نؤلف حرفاً لم يُكتب في لغة بعد ...

يمتد الحرف المخلوق وينجب في الأرض حروفا .

آخذ حرفي ألقيه فيغدو حجراً يلقف ما أفكوا

لكنْ يرتد إليّ ... !

الحرف الرابع :
هذا وطنى فاكتب ما أمليه عليك
"إن الساعة آتية لا ريب" .
وإن القمر الثلجى سيغدو تفاحاً كى يطعم جوع الحنطة ،
والأرض المثمرة بنخل الأشواق وزيتون الحزن المتقاسم عبر حروفى
ما زلت أحبك يا وطنى ..
لكنْ هل ما زلت كما كنت تؤلف حرفا يغدو عسسا
كى يكتب ما أنسجه حبّا لعيونك
يتقاسم ظلى ، يتلصص عن حلمى ...
ويزوّر ما أكتبه خوف "الهكسوس" إذا مروا يقتلعون الأوتاد الموءودة
فى الأحجار بمعبدك القدسى ، وهل ما زلت عصيّا أم أن
الأكفان المملاة
بحرف الزيف تلاشت إذْ ينخر فيها الشوق .

فتركع تلك الغربة فى محرابك وتقبل أقدامك كى تعفو .
إنا منتظروك .. وإنا عشاقك فاصفح !!
وافتح ما يتيسر من حلم أصابع وجدك كى ندخل فى حضرة قدسك
آه ..
لو نغمض أعيننا إذ ملئت بالنيل وما أدراك ؟!.
فيا أبتى : إنى أبصرت الشمس حروفاً والقمر تشكل صوتًا ونجوما
أضحت ظلاً لحروفى فوق الأعتاب سجوداً لك يا وطنى
فامنح جسدى فى أرضك قبرا
لكن .. لا تدفن حرفى !!

بون ٢٣/٣/١٩٨٩

سنفترق

"سنفترق"

وستعرفين من الرجال

قدر اللواتى من النساء سأعشقُ . .

وسنرسل الأشواق بين رسائل العشاق حينًا

والرسائل بعد حين ما لها لا تنطقُ

ويمر عام

ثم عام

نأتى إلى تلك الرسائل نحرقُ

أوآه يا قلبى

لماذا أنت منذ ولدت دوما تُسرقُ

ماذا جنيت لكى تجىء وتُخلقُ ؟

نيويورك ١/١/١٩٩٠

أقوال طفل فلسطيني

(١)

من أين أبتدئ القصيدة

والقصيدة في دمي

فدع الحروف لترتوى

ودع الكلام

ودع المدينة فالمدينة فتَحت أبوابها

والناس تنتظر السلام !

إن الحروف توعرت وتشابكت

وتلعثم الحجاج أية كعبة

إن الكعاب تشابهت

للشرق أو للغرب فانظر ثمَ وجه الله ..

إبليس يرتع في المدينة مُذْ تفتّح بابها لبني العمومة

قلت : من يأتي هناك ؟

فما أجاب سوى الصدى

فاخلع قناعك واتبعني

إن المدى سيجيء يركع عند حقل السنبلة

فدم الشهيد الآن أكبر من تصالحك المزيّن بالرفاتْ

ودم الشهيد هو النبيَ وأنت شعب المعجزاتْ !!

(٢)

الماء قد ترك السفينة عند أول مرفأ ومضى ..
والعُرْبُ قد تركوا السفينة عند أول موجةٍ ومضوا ..
يَسّاقط الغضب الجنىُّ حجارةً
كونى ثمار الأرض لى حجرا جنيّا
يا أيها الحجر المقدس في دمى قاومْ ولا ترتد
ما نحن إلا ساسةٌ والعدلُ قد كره السياسة منذ عهد معاوية !
أَنْبتْ قصائد شعرنا حجرا
أثمرْ نخيل بلادنا حجرا ..
كوّنْ نهود بناتنا حجرا
حوّلْ عظام جدودنا حجرا
وطنٌ هوى والآن تبعثه الحجارة
اجعل شفاهَ حبيبتى وطنا
فألثمه ويلثمنى
خذ ما تشاء من القصائد
فالحجارة باقية

يا أيها الطفل الذى قد جاء يحمل حصوتين
اضربْ عدوك بالحجر
واقذف شعوبك باللهبْ
الله قد رضى الغضبْ !!

بون ١٩٨٩/٣/٢٤

الوقت

لا أحبك
ليس ذا وقت القصيدة
إنه وقت انفلات الوقت
وقت اقتفاء الوقت للأوقات يبحث عن زمن !

لا .. ليس وقتك
وقتك الآتى الذى قد جاء
هذا انعدام الوقت
فلتلعب به الساعات حيث تشاء .
ولتأتى بلا وعد
فماذا فى انتظار الوقت غير الوقت ؟

أبحث عنك فى كل المرافئ .
قد جئت من زمن لأنك لم تجيئى ..
ليس ذا وقت القصيدة .

يا أيها الوقت الذى قد ضاع لا ترجع ولا تمنح لوقتك موقتًا
ليجىء فىْ ..
فلقد "أجاءَ" الوقت يسأل عن مدى !!

لا ..
لا تكن يا وقت أغنية لبحارٍ يصارع موجه من بعد أن راحت
مراكبه سدى ..
واكتب لوقتك موعدا
حتى أفكر أن أجىء !

باريس ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٩

الوقوف على أطلال أوربا

بتهوفن

واقفٌ أنت كالصمت

والسحاب استراح على معطفك

برهة ..

وتدلت مناقيره نحونا

واقف أنت كالهمس

والعصافير قد حلّقت حول تمثالك ،

فوق أكتافك حطت حزنها .

وَشَدَتْ لحنك

علَّ أن تسمعه !

قطرة . قطرة

واستراح المطر

جوته

تسبيحةُ الغرب للرب

أقصوصة من نسيج التصوف

حين يمتاح صوتك ما قد تبقى من القول

تأتى القصيدة نافضة شعرها

أنت زمّلْتها

إنه الشّعر يمشى بأسواق صمت الحروف .

ويبتاع ذاك الذى لن يكون !

حرفك الآن أغنية من ظمأ

والسحاب الذى كان قد زارنا غاضب

فاكتب الآن ما قد يكون من الشعر

يقرأ الناس أحزانهم فى مراياك .

أو يُبعث الناس فى الأحرف الشاعرة !!

بِرشْت

جالسٌ تتساءل فى قاعة العرض عما سيأتى ؟

حين يقرأ ذاك الممثل صك السكون

يعترينا الأرق

حين تنفلت اللحظة الكاشفة

أنت تصرخ

يصطادك الوقت

ينبعث الآن صوتك بين الثنايا

تعرفه "الجوقة" ترقص ،

تأمرها بالسكون

والستار احترق !!

ميونيخ ١٩٨٩

الجبال

الجبال تحلّق فوق الجبال
والعصافير تهجر أوطانها
والقصائد تكتب أشعارها
أيها الجبلي الذى يسكن الحزن فى قلبه منذ حين
يفتل الخوف خيمته بين عينيه
يبصرها مشنقة
تتدلى يداه إلى الأرض تحت المشنقة
تمتم الآن فى موته
- أيها الجبل ارتخ لو قبضة
كى ألامس - فى الاحتضار - الجبل
أيها الجبلى المَمَدَّد
رجلاك أعلى من عنكبوت النياشين
جسمك الآن يهتز فى موته
فيخيف المقصلة
يا رياح الجبال احضنيه

تفتح الآن عينيك ،
ترسم رجلاك أنشودة النصر
ها أنا أكتب الآن وجهك حرفا جديدا .
ارسم الآن حلمك - عند احتضارك - عنقود خمر
أيها الجبلى
كان وجهك سرداب حزن به رابية
بين عينيك أكتب صمت الحروف التى قد أتت كى تنام بصوت
الغجر !
أيها الجبلى
حين يأتيك موتك
قل له :
أيها الموت مرحى ولكن
أهلْ ذُقْتَ - يا موت - موت الوطن ؟

أيها الجبلى اتئدْ

كم ذا يزغرد سيف "ابن يوسف"

عند احتضارك يلقونك فوق الربى للرياح

قصة تسكن الآن جمجمة

والجماجم يدفنها الرمل ،

وتُسقى دماء الذين يروحون لا يرجعون بدم الغجر .

ينبت الدم سيفا فيمضى يمزق رأس «ابن يوسف»

إنى أرى رأسه أينعت

وغدا حان - يا صاحبنا - قطفها .

فاقطفوا ،

واشربوا نخبه ،

واكتبوا بجماجمكم قصة للجبال التى لا تموت ..

بون ٢٥/٢/١٩٩٠

كان لى

كان لى !

كان لى بيتٌ ، ومزرعة ، وقلبُ

كان لى خِلٌّ ...

ولى أهل وصحبُ ...

كان لى وجهٌ يسامرنى

ولى ظل يتابعنى

وأنفاس ...

وأحلام تراودنى .

ولى بصر ... ولى جفن ... وهدبُ

كان لى صوت يحادثنى فأسمعه

ولى شفتان ...

لى أذنان ...

لى حسٌ ... وقلبُ ...

أحس بما يعانيه ،

وأشكو الحزن من نبضاته حينا

فيركع نحو محرابى ويعترف

كان لى نهر

على جنباته غنيت

يخجل حين أوصفه

يدارى وجه حينا .. وينكشفُ . . .

كانت لى هنا بئر

بها خبأت ما قد مر من عمرى

وحين أريد ذاكرتى

سألقى الدلو فى بئرى وأغترف . . .

كان لى فَرَسٌ

إذا ما تهت فى البيداء ، يأخذنى لقريتنا

وعند نخيلنا يقفُ

كان لى أمل

بطول الكون أرسمه ولا أصفُ . . .

كان لى إسم أسابقه .

فيسبقنى

ولى علب . . . ولى حلوى . . . . وثوبُ

كان لى وطن . . .

إذا ناديت يا وطنى

يجىء براية المنصور ينقذنى . . .

وإذْ ما جاء طوفان

فلى فلك . . . وشعبُ . . .

كان لى . . . ما كان لى شىء

فلا حىٌّ أنا . . . كلاَ . . ولا يُقْضى لى النحبُ

كان لى . . . ما كان لى شىء

فهل أهذى . . .

أشك الآن أنى جئت فى الدنيا

وأن قصيدتى تلك التى - الآن - تقرؤها -

يخامرنى - بأنى قلتها - شكٌ وريبُ !!

نيويورك ٦/١/١٩٩٠

ماذا سنكتب في قصيدتنا ؟

"مهداة إلى خ"

(١)

ماذا سنكتب فى قصيدتنا ؟
وذاك الموج ملتحفٌ بشاطئه
وهذا الموت مختبئٌ بميته
ماذا سنكتب والحروف الآن عاريةٌ بلا معنى
وحتى الشعر - فاتنتي - تقمص روح غانيةٍ تجيء لكي
أسامرها
تجردني ثيابي كي أضاجعها
ماذا سنكتب في قصيدتنا سوى صمت ،وفاصلة،
وصمت ؟!

(٢)

"باريس" فاتنة تكحِّل شعرها الغجرى
تلبس حلة المشتاق .
والمشتاق يتبع ما يريد .
أجيء لعلنى يوماً أرى طيراً يغرد فوق صفصاف . وعند
النخل قرب النيل
يلقينى ترانيم العشية ،

آه يا باريس ما أقسى ثلوجك فى الفؤاد تراكمت ،
وعلى مرايا النفس قد هتكت هوادجها
ونامت فى عيونى !

(٣)

بينى وبينك غربة ...

ماذا هنالك تفعلين ؟ ،

على شواطئك الحروف توضأت

صبارة جئت إلى باريس ... لا

تتساقط الأوراق .... لا

تتساقط الأشجار .... لا

تتساقط الأرواح والجثث المؤرَّضة ، المعنكبة التى ....

هاك انقضى وِزْر القبيلة

فلتبعدى عن كاهليك طقوس كاهنةٍ تعربد فى "مراكش"

صفقى بالريح ، وانسى ماضى الأحلاف من عبس وذبيان

فليس الماضى فى عينيك غير خليفة ، ووراؤه خدم وحاشية

سطر وحيد ، والهوامش تحته ترعى !

وليس الماضى إلا حفنة الأرباب قد حكمت :

وتحكّمت بالسيف فى رئة الهوى

الآن أبغى أن أكون كما أشاء

فأى شىء تبتغين ؟

(٤)

الناس فى "بون" يصيدون الشوارع
والمنازل قد تزلزل صمتها
دقت كنائسهم لتقطع صمت صمتهم
وكان الليل مثل الليل لا يمضى ويبتطئ ...
فيأتى النورس المعتاد يسألنى وأسأله عن الأوطان والذكرى ؟
فنشرب نخب غربتنا .
ونفترق !!

(٥)

للسُّور في "برلين" أقدام وأجنحة

رأيت السور يهبط في حناجرهم

ومضغة دمهم تسرى على قدم ملوثة ،

تآكل عندما وثب القتيل ليقتل السياف

عند السور كان الجن يرقص في مُلاءٍ

لم يكن صوت النحيب مسامراً قفص القتيل

ولم يكن ذاك القتيل سوى السراب

وجاء يوم يكون سورهم فَراشاً

والفَراش الآن عند قريش يفتل من شواربه المشانق !!

(٦)

هل تلك خاتمة القصيدة ؟

أو أن قصتنا ستُكتب من نهايتها

ليبقى الشعر منتصبا ،

فسوق "عكاظ" يفغر فاه ،

ينتظر الحكاية ،

من سيحكى من قبيلتنا ؟

والصغار الآن - مثل جدودهم - وُلدوا بدون الألسنة ؟

باريس ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٩

مرثية شعبان الفياحى

شعبان مات

وتساءلت قطط المدينة : كيف مات ؟

عصفور بلدتنا المنكس قال لى

- شعبان قد قطع الجريد ومزّق النخلات قد

فى كل يوم كان شعبان الفقير يقطع النخل البرىء

فى المرة الأولى تبسمت النَخيلات التى

شعبان يُطعم طفله وحفيده شوك النخيل

فى المرة الأخرى تآمرت الثمار مع النخيل

اضرب بفأسك ، سوف تهوى من بعيد

شعبان لفَّ الحبل فوق النخلة الكبرى وقال :

"هات المدد .."

من قبل أن يرقى ترشف شايه

ولربما ارتشف الموات .

لكن نخلته ستعلن أنها رفضت مؤامرة الفئوس

شعبان يصعد

وهو يحكى عن أبى زيد وعنترة وعن قطب الصعيد

شعبان يضرب ..

آه .. يضرب ..

والصغار تجمعوا فلربما سقط "الرطب"

فهمُ كشعبان يجوعون الشهور ،

تلفتَ الأطفال عمن كان يسقط

شعبان ألقاه النخيل "سباطةً"

وتصايح الأطفال فى ضحك الصغار

"شعبان يسقط"

شعبان مات !

شعبان مات !

قهقه النخل الذى حفّ "العويضات"[1] التى جاءت تهرول

كى يروا صوت احتضار البؤس فى ثأر القتيل .

لفُّوا عباءة صمتهم ، ومضواْ إلى بيت الرؤى كى يدفنوه ..

وأفرغوا من تربة الأوجاع ما ثقلت موازين القبور به ..

وعادوا يضحكون !!

باريس ١٨ / ١٢ / ١٩٨٩

---

(١) قرية فى صعيد مصر ينتمى إليها الشاعر .

بائعة الزهور

ووقفتُ قالت : هل تريد الفل أو زهر البنفسج
أو تودّ الياسمين ؟
أو أن قلبك قد هفا للكرْز أو زهر الصنوبر
أو تحب الزيزفون ؟
وَصَمَتُّ فابتسمت ،
همستْ بأذن الورد : ما للْورد لا يُرضى قلوب العاشقين ؟
نظرتْ إليّ ، ولم تقلْ شيئاً
فَهَمَمْتُ أسألها عن الصبار لا يُسقى بماء ،
إنما يروى بذكر الغائبين ..
ضحكت وقالت : هل تود عرار نجد ؟
أو تودّ سحابة العطش المندّى فوق صحراء الفؤاد ؟
وتمتمتْ : يا ذلك الشرقى ما تبغِى ،

فقلت : أريد بستانًا حوى كل الأقاحى
قد هوى عطراً وزهراً
قد غدا فردوس أحلامى ، فهلاّ تفهمين ؟
نَبَتَ الحياءُ بوجهها ، وتمايلت كالزهر ،
تسند ظلها بعيونها
والزهر ينبت بين عينيها ،
أشمّ الآن رائحة الغرام بمقلتيها
بالعيون الآن صوت لا يبين ..

- لو أن قلبى فى يدى .. قبّلته
وطبعت قبلته على ذاك الجبين ..
قلت : افعلى
قالت : أخاف من الزهور تغار من قُبَلِ الصبايا العاشقين ..
وأغار من عينيك تسكن فى عيونى منذ حين ..
ماذا تود من الزهور ؟
فقلت : ما أحلى الجنون !!

بون ٨/٣/١٩٩٠

نحوت

مهداة إلى ع

النحت الأول :

أنتِ فاصلةٌ بين قوسين ،

ارتطام التموّج بالضفتين ،

وأنتِ صهيل الجواد ،

ابتعاد البلاد

اقتراب البلاد ،

وعنوان ذاك الغريب ،

اختصار المسافة ،

نحت التوابيت فى الخاطرة

أنتِ - يا فتنتى - برهةٌ عابرة

أنت همسة صب :

نصفها قبلة شفتىْ عاشق

ونصفٌ من الصمت فى المقلتين !!

النحت الثانى :

لماذا تجيئين وسط الشرايين ؟ ،
تبغين أن تنحتى ،
والشرايين مزّقها الحزن ،
لم يبق إلا احتضار الرؤى
وها أنتِ جئت على صهوة الخيل ،
والخيل تعرف للهمس أسراره ،
فانحتى
وانحتى اسمك الآن فوق الجدار الممزق فى الذاكرة
عندما تنمحى الذاكرة ،
ستبقى حروفك حرفين :
حرفٌ من الحبّ دوماً
وحرفٌ يعيد لى الذاكرة !!

النحت الثالث :

لنا أن نقرّر ،

والحب لا يعرف الآن أسراره ،

إنكِ البعث ، إزميل نحت الحقيقة

ها هى الأرض تسعى

ها هى الروح تأتى

ها هو الوجد يركض

والخلايا التى ودعتنى تجىء ،

أعانق ما قد تناثر

وتمضى شفاه القصيدة نحوى

تخلع الآن أثوابها

وتبدين - يا فتنتى - زهرةً فى صحارى السنين ،

تموج مع الريح ، تبكى .. حينما لا يراها أحد ..

ها أنا قصتان :

قصةٌ قد مضت

وأخرى بعينيْك تُخلق حتى الأبد !!

بون ٢٥/٥/١٩٩٠

النوارس

لم يكن بين هذا السراب وهذا المدى
غير شوق تصارعه الذكرياتْ ..
لم يكن غير قلب حزين ..
أَبَى مرةً
وانحنى مرة ..
وامتطى الأحرف الصامتاتْ ! .

أيها الحلم يا ..
هل ترى قد تكون كما ..
أم هو الليل أرخى سراديبه
واحتسى الأمنيات
أيُهذا الذى كنت ألقاه فى الصحو يجثو ،
يقاوم تلك الظلال البعيدة فى الأفق ، يركض ..
يستلُّ سيفًا من الظلّ .
يهوى على ظله !!
يثقب السيف فى القلب جمراً تلظّى ،
وألقاكِ (بين العيون اختفاء البراءة) ! .
فوق الشفاه تعنكب أحرفنا الداميات

كان صوتك يأتى فتلتفُ حولى (النوارس) .

تسألنى : هل ترى تسمح الآن - يا سيدى - أن نكون لها

جوقة الأغنيات ؟!

ويمتدُ صوتك نهراً يطوف المدائن .

تطوى المرافئ عبر النوارس والكائنات ! .

صوتك الآن لا أسمعه ..

- أترى بَعُدَ الصوتُ ؟

أم أن الذى كان مات ؟!!

بوبارد ١٤/١/١٩٨٩

الأصوات والصدى

مهداة إلى المستشرق الألمانى : اشتيفان فيلد

Stefan wild

لماذا يختفى الظل فى الليل .
والشمس لا تشرق إلا فى الظلام
حينها يلتقى الظل بالظل ،
والصوت فى الليل عبر الصدى لاهث إثره
إنه راكض فى البحار التى أتعبتها المراكب : تلك التى تبتغى مرفأ ،
والمرافئ تسأل عن أبحر ، والبحار الجميلة .. تبحث عن
موجة كى تسوق المراكب نحو الوطن ...

الصوت الأول :

إلى البيت أغدو وأحمل ما قد تبقى من الروح ،
علّ الرياح تسوق الغمام الذى قد بنيت على ظله ربوة للديار.
طيور "الكنارى" ترفرفُ فوق السحاب ،
لعل السحابة تُنزل من غيثها قطرةً فوق بيتى
وعلّ الكنارى تعزف من لحنها غنوة للصغار ،
فأركض في داخلى نحو هذا النخيل الذى قد تطاول حتى النخاع.
فهل للرياح إذا ما غدت بالغمام تسوق الظلال ؟
فيا طائرًا ضلّ : هذى بلادك تنبت فى راحتيك
فخذ من صدى الصوت أنشودةً للإياب ،
فإن بلادك - يا صاحبى - قد غدتْ واحةً من صدى !!

الصدى :

مــــــــافـــرون فى غـــد   عن قـــريتى مـــــافـــرونْ
هـل نــــــتطيـع مـــــرة   تُخَــبَّــئـيـن فى العـــيــونْ

الصوت الثانى :
من خبَأ هاتين العينيْن ؟ وكيف اختفتا عن كل عيون
العسس الليلى
وهم يسْتَرقون السمع ..
وها أنذا موْءُودٌ فى عينيك ،
أتمشّى تحت خيامك ...،
أو أتجوَل بين الرئتين ،
وأبنى منتجعًا للحزن ، فذاك "مقام الدهشة" .

الصدى :
- عمَنْ تبحث ؟
- أبحث عن حلم
- حلمك "لن يأتى"
- أبحث عن "يأتى" .
تسقط "لن"

الصوت الثالث :
النخيل يسافر في القلب
مولعٌ أنت بالحلم ،
والحلم فوق النخيل امتطى منبتًا للرياح ،
فتأتي الرياح لتبتاع حلمي . .
وألفي العيون صدى للوجوه التي دثرتني
فأي الوجوه مع الرأس أحمل ؟
يمَّمْتُ نحو النخاسة أبتاع وجها جديدا . .
وكانت شُجيرات تلك الرياح إلى الأرض تنمو . .
فأدفن ما قد تبقى . .
أرى الشوك ينبت في الوجه ،
حاورني الشوك . . حاورته .
فامتطى القبر وجها . .
سابقني . . واختفى !!

الصدى :
من ذا أنا ؟   إني صداكْ
إني هنا   وأنا هناكْ

الصوت الرابع :

وأغدو إلى البيت أحفر فى الوجه سرداب قبرى

وقسّمتُ وجهى طرائق شتى ..

وأبحرت فى الصوت علَّ الوجوه القديمة تأتى

ويممت نحو البلاد التى قد تساقط فيها الفؤاد

فأدفن ما قد تبقى ..

هنا القبر ، كانت رفاتى تنام ،

فأبصر جمجمتى غماماً وبرقا

تزلزل زلزالها

تمزّق أكفانها ..

"وأخرجت الأرض أثقالها"

تسير الجماجم صفًا ، صفوفا ..

ويأتى الجنود العسس ..

وما كان كان .. وما لم يكن قد يكون !!

الصدى

......

ص ... د .... ى !!

بون ١٦/٧/١٩٨٩

مارينا

تسألنى "مارينا" عن وطنى ؟
فأردد فى لكنة عجمى :
- وطنى أبحر منذ سنين كى يأتى بالحلم .
فتفجؤنى : ومتى سيعود ؟

تتأملنى : وجهك محفور بالحزن ، وتلك الأسلاك الشائكة
تسوّر عينيك ، وهذى الغربة تخلق فى عينيك أنينًا يهزمنى !
تعبث فى خارطة الليل وتوقظنى من حلمى :
- كيف ستقضى ليلتك اليوم؟
أصمت . . تتحسس جسدى .
تتلاقى عينانا
تمتد يدانا
همّت شفتانا !
يُبعث ظلّ الوطن فننفصل . .

- كيف ستقضى .. ؟

يهتز الظل القابع فى عينى فأبتعد .

- هل ما زالت "لبنى" العربية فى ذاكرتك تتمشى ؟

- معذرةً "يا مارينا"

لبنى العربية نائمةٌ فى أوردتى

تتراقص وسط شرايينى

وتؤلّف خيمتها من دقات القلب إذا ..

ماذا تبغين وقلبى لؤلؤة نائمة فى وطنى ؟

إنى مخلوق من حزن

- الحزن صديقى نَبْتٌ عربى ..

- هل تبغين الحزن ؟

فقالت : لا !!

بوبارد ٢٦/٨/١٩٨٩

من ذاكرة المدن

باريس :

أقسمت صديقتى :

أنها مدينة الملائكة .

وأطرقت

وعندما نظرت فى عيونها

لمحت دمعتين !

القاهرة :

هذا شعبك يا آمون

وتلك مقابرك المسكونة بالخوف

وهذى أهرامك ثكلى

فامنحها بعثًا من موت !

نيويورك :

غريبٌ أنا

والرياحُ إذا ما رأتكَ غريبا تهبُّ !

بون :

حين تنام بحضن الراين

تمنحه نهديها

فيخبئ بين شوارعها أزهار الكون !

طرابلس :

الرهان ما يزال

والجواد متعب

والبحر يا صديقتى مزمجر

فمن يغوص فيه ؟

ميونخ :

فى الشارع اقتربت منى عارية

قالت : خمسون

ألقيتُ بحافظة نقودى

راحت تضحك ، وأنا أعدو ...

واشنطون :

نتمشَى وصديقى قرب البيت

ويسألنى : ألديك جواز السفر ؟

فأرقبه ..

نتمشى ، ثالثنا الصمت !

العويضات :

لك الخلود والنخيل والمدى

لك القصيد والرفات

لى حفنة من الثرى ..

دسلدورف :

يا قصةً تجىء دونما سبب

يا بسمةً تغوص فى القلوب كاللهب !

برلين :

فى حانةٍ شربت والمسيح رشفتين

وأغمض المسيح

وعندما لكزتُه

أبصرتُ أنه يموت !

دسلدورف ١٨ / ٦ / ١٩٩٠

ذكريات اليوم الأول بعد القيامة

مهداة إلى المستشرق Stephan Guth

"فصل غاياته ألف"

المقبرة :

وأغمضتُ عينى فما كانَ لى أن أرى ، وما كان لى أن أفتّش عن أحرفٍ داميات تغطّين بالصمت أو بالثرى ، ذاك يُدعى الظلام وما كان إلا الظلال التى طاوعتنى وجاءت تودّع ما لا يكون ، وأُدنيتُ منها وألفيْتُ أنى تحولت للطين نبتًا ، وأُدخلت فى الساق حتى تطاول هذا النبات، المسربل بالشوك علّى أقاوم تلك الحجارة أو أقتفى ظلها . ويُخرج نبتى ثماراً فأبصر هذا المدى ، ها أنا وردةٌ أستطيع الغناء كأنى قريبٌ من الأرض ، سيان عندى الذى كان أو ذاك من كُنته ، ولم أدر كم عُمر هذا النبات وقد حوصل الماءُ فيه الغناءَ فأخرجُ "هُو" ... ويبقى "أنا"

"غاية"

تفسير :
لا شيء هنالك موجودٌ إلا الواجد
فتواجدْ حتى توجَد إن شاء
واخلع عنك الأسماء فكل الأسماء مزيّفةٌ ..
مَن منا سمَّى نفسه ؟
وادخلْ في الحضرة كي تحضرَ حين يُراد وجودك فيها
لا تلتمس الأعذار
فموتك هذا عذرٌ ليس بمقبول
إن كنا نحن نريدك ميتاً عشت
الموت وجود
ووجودك لا يوجد إلا عند موات الموت

رجــع :

"أهذا أنا" أم "هو" ؟ ، وكان الظلام يخيط الجماجم بالأرض ، يربط هذى العيون بشتى السلاسل ، من جاء بى ؟ تذكرت أنى "أنا" - وأن البكاء الذى كـان من أجل أن .. هو الطين يلتف حولى ويبنى له سرمدا فاخلع الآن كل الوجود وكن سيدا ، أنت صرت بقاء الفناء وما أنت إلا فناء البقاء ؛ وذاك الوجود ابتلاء فمن كان أو سيكون ؟ سيان عندى زمان السؤال ومعنى الجواب ولكن قلبى يؤكد أن المدى صار سُؤْلا وأن الورى أسئلة ؟

ألستَ سؤالا ؟ ... بلى .. لا"

"غاية"

تفسير :
وأيقنتُ أنى هنا
وأن الذين بجنبيَّ كانوا ..
تذكرت ما دار فى القبر !
ملاكان جاءا فمن يسألان
أأسألُ أم تُسألون
وما كان لى من حياةٍ
لماذا - إذنْ - مُرسَلون ؟!
وأُجلست ، أبصرتهم قادمين
يشقون صدرى ويخرج قلبى
يقولون : هذا عجيبٌ : أميْتٌ .. وقلب يئن ؟!
كفاك العذاب الذى قد بنى كهفه فى الفؤاد ،
فليس هناك سؤالٌ لمن قلبه قد تعذب فينا فنَم واطمئن
فماذا يقال وقد جاءت الزلزلة ؟!

رجع :
"تتحول تلك النخلةُ شباكا ويصير الشباكُ فتاةً ، تسألنى عما إن كان فؤادى يهواها أو أنى ؟ تتلاقى أسراب الدود المنبطح المترامى فوق الجثث الموءُودة إذ سُئلت ! وتشكل أسرابًا من أمعاء ، وصدورٍ حرَّى ؛ نصطف صفوفًا يقتطف الواحد منا تلو الآخر ما يعنيه ولكن لم يختلط الحابل بالنابل بل يفترقان ويصطف الحكام صفوفًا يفقأ كل منهم عين الآخر ؛ تتدلى ؛ لكنَّ الأرض تعيد الأعين ثانيةً إذ يفصل ربك بين الأشياء فلا يتلاقى اثنان ولو قد كانا من قبل التقيا واختلطا وامتزجا وانتهيا ولذلك تتبارى الأرض مع الحكام ولن يصطلحا" !!

"غاية"

تفسير

ولا شيء يدعى السكون

أما للسكون صدى ؟

وقد كنت طينًا فكن ...

لذا ينبت الطين أطراف هذى الرؤى

وتهتز أوراق تلك الغصون فتنمو العيون ، الأصابع والمشيمة .

فتغدو الأراضى رياحا

سأرقب هذى السماء ولكنها قد غدت جثة هامدة

تهشّم وجه السماء

وتنزف حزنًا كثيفا ،

أهرول علّى ..

فتخبرنى : إنها الزلزلة !

رجع :

"مشهد لا يرى مرتين .. انتبه .. القبور التى كنت أسمع صوت الأنين وصمت الغناء أراها تُفتح ، وتمشى القبور لتصطاد ظلاً ظليلا ، وحتى الأباريق تغدو وجوهاً ، وها نحن إنا عرايا وما أقبح العُرْى لكنْ وُلدنا - كما قيل يومًا - عرايا ولا توتَ فى الأرض إذا أنهم جمَّعوا النخل والخُضر ؛ هذى وريقة توتٍ غدت لى لسانا ؛ وهذى فراشة ضوء غدت لى شفاها ، والجمجمة وريقاتٌ ثكلى قد طُبخت فى قدرٍ يتشكَّل من عينيْن ، وأما النار فكانت من خشب قد غُذِّى من أكبادٍ شتّى لا أدرى إن كانت فرحى لكنى أوقن أن الفرح تَشَكّل زيتونًا والزيتون توالدَ فاكهةً والفاكهة احترقت أبًا ، وضباب قد لف الناحيةَ الشرقيةَ لا الغربيةَ ، لا أدرى لكن ما أتذكره هو أن ضبابًا قد حمل العالم إن كان هنالك كونٌ ولذلك لا أقدر أن أشرح أين الشارحُ كانَ لأن كلامى هذا رجْعٌ ؛ والرّجْعُ بعيدٌ وكفى !!"

"غاية"

تفسير
أتوقع أن كلامى هذا لا يحتاج لتفسير ؛
لكنى أسمع صوتًا يهتف بى
- مَنْ ذاك القابع فى بوتقة الصمت المذهول ؟
- - إنى جئتُ أجبنى أين سأمضى ؟
- (حين أنجو من الزلزلة)
- - صهْ ولا تُلْقِ بالأسئلة !
- السؤال اعتراض
- أما جئت ؛ هل تستطيع الإياب ؟
فماذا يفيد السؤال ،
ومن يملك الأجوبة ؟!

فصل غايته باء :

الزمان :

كانت كل الأشياء تكوِّن لا شيء ، وبعض الـ لا شيء يكوِّن كلَّ الأشياء ، فآهٍ لو كنا نتحكم في الإحساس فلا نبصر إلا ما كان جميلاً ، لا نسمع إلا ما نرجو وإذا متنا لا نُدفن في الأرض ولكن يتصاعد كلَ منا رأسًا نحو الأعلى ليلحق في الملكوت فتتلاقى الأجساد / الأرواح وتبنى منتجعاً للدهشة ، إذ أذكر أني حين دُفنتُ تحسَّسني الموتى ، مَن يدرى ربَّ هنالك شيءٌ مدسوسٌ في كفني آه لو كنا نتحرك دون العسس فإني أصبحت أخاف القبر فمن يدري ماذا في القبر ؟ لذلك لم أنبس شفة حين رأيت جماجمهم تتسامر حولي ، ورأيتُ صديقي أرسل تقريراً بمداد عيونٍ فاتنةٍ قد قُبرتْ جنبي كتب على رقعة كفني أني لا أسمع أوْ لا أتكلم (تلك رواية جمجمة أخرى) كم خفت بأن يتضارب هذا التقرير مع الآخر ، لكنْ جاءتْ شفرات فوق عظامِ شهيدٍ فَسَّرها أحدُ الموتى أن التقرير يقول "فلانٌ هذا فَطِنٌ لكن سكرات الموت تفتِّت ذرات العقل ، ويوصي التقرير بتعميم الموت على الأحياء ذوي الألبابْ"

"غاية"

تفسير

حين يُدك الجبل صريعًا كنْ

حين يموت الجبل ..

سيسأل عن قاتله ؟

وسيسأل قاتله عمن صنع المدية والخنجر ؟

عمن كان فكنت ؟

ولذلك أنصح من يقرأ هذى الصفحةَ أن لا يقربها

قد تُغويه فيأكل من ثمر مرارتها ...

ويموتْ !

رجع :
تتوقف كل الأزمان، ويحيا كل منا في "اللازمن" وما أحلى أن تُطوى الأزمان، فلا أمس ولا يوم، ولا باكر، كلّ الأشياء انصهرت، أما الأزمان فقد جُمعت في بوتقة "الآن"، لذلك لا تبصر شيئاً يتحرك أو لا يتحرك إذ إن الحركة وقتٌ والوقت توقف، وسكون الحركة موتٌ والموت الآن يخرّ صريعاً، يتأمل كل منا نفس الذات المتأمِّلة ولا يلمح شيئًا؛ فنهرول نحو مرايا قد وُضعت لنحدق فيها، لكن مرايانا لا تبصر شيئًا، إذ تتساوى الأشياء لديها، ولذلك حين جريتُ لأبصر ذاتي انقسمتْ لذواتٍ شتّى، نادتني إحداهن، فما ردتْ أُخراي، لأن الملأ تجمع من ذاتي يتساءل: "مَن هذى الذات؟" ولما ودَّ لساني أن ينطق خفت العسس المقبور بقبري، فأبى كفني أن يصمت فتناثر ذرات بيضاء ملوثة بدماء من زمن وأَسَرَّتْ أكفاني في أحزاني: "هذا وجهك فاصمتْ" وأعدَّت أكفاني صوت خناجرها وسمعت قتيلاً يفجؤني بالصمت فألفيتُ بأني كنت القاتل والمقتول بلا أسباب" !!.

"غاية"

تفسير

علمتنى الحياة بأنّ انتصافَ النهارِ دليلٌ لقرب الغروب

وأن الغروب انتهاء ،

وأن اقتسام الفصول دليلٌ على موتة اللحظة الفاصلة

علمتنى الحياة بأن اقتناص الفريسة سهلٌ ، غير أن انتقام الفريسة - يا صاحبى - ضربةٌ قاتلة !

أنت يسكنك الشعر ؛ والشاعر الآن قد علقته القصائد من مقلتيه بمشنقة الحاكم العادلة !

أنت تجهل معنى الشروح فقد تثمر الأرض حين يجف الكلام،

فكم خبأ الشعر فى راحتيها السطور التى قد غدت أحرفاً قاتلة !

كان قلبى هنالك قد سابقته القصيدة ثم انثنت قُربَةً ثاكلة ! !

علمتنى الحياة : أننى ما تعلمتُ شيئًا ؛ وأن حياتى قصةٌ آتية ! !

المكان :

رجع :

هل كنتُ جنينًا أو أني حين تخلقتُ تشكلتُ فكنتُ الشعر، وكان الشعر مراياى ومملكتى، لكنّ الحرف تجرد من معناه، فكان المعنى من غير حروف، والحرف يلاطم موج الحرف فيسألنى عن شاطئ تلك الكلمات؟ فأسأله عن معناه؟ يفكر، لكن الحرف يرى ما كان وما لم.. وأنا ما زال الموج يسامرنى فى الأرض، وفى خارطةٍ قد كُتبت بظلال الشيء، وكانت دائرةً فى ملكوت الحرف، فآخذُ وجعى، أتكئ على ظلى المتقطع والمسجى، فيقاوم ثِقَلى، لكنى أتجول فى النجم وأرسمه شعراً ونوارس قددا، وشياطين توالت فى شكل ملاكٍ قد عصى فأُسقط من طور التكوين؛ ولكن الشيطان تلقى من آمره أن يبقى، أن يتزاوج "مَن تلك الأنثى"! ليخلفَ أبناءَ المردة إذْ يرقون السحر على آنيةٍ ثكلى، ويُجاء بإبليس ليسجد فى الأخرى، ما أحرى آدم لو شكر الربّ وأعفى إبليس وعنه عفا .. لكنّ القدر تقدّر والأسباب". !!

"غاية"

تفسير
ذاك جواد الموت يحملق فىَّ ويرتعد

نتراقص
يمتقع الوجه ويخطو

يتأبطنى
نتسامر حينًا ، نتبارز ، نقتتلُ
فيقص حكايته
أتركه ..
يتأملنى

تتلاقى عينانا ، نبتسمُ !!

رجع :
أين نكون ؟ وقد جُمعت طبقات الأرض براحة "كُنْ" أما فعل "يكون" فكان وجوداً ، نتداخلُ ، نتمزق إربا ، تتزاحف أحلام الموتى ، تتدحرج، تتساقط ، تتوالد وتكوّن ظلاً ، فيكون صراطاً يتعثر فيه الحلم ، وينجو المشتاق لأن المشتاق مريد ، والجمجمة امتلأت مَدَدا ، آخذُ مَدَدى ، أفتله فيصير مَدَى ، ويصير العالم محض مَدَى ، نتناشد فى الخلوة ، نتجاذب جذبتنا العليا ، نتآنس ناراً فى البيد ، لعلى آتيكم منها "أو أجد على النار هدى" لكنى أرجع من بعد غياب دون النار ودون الذات ، فلا أجد الآن سواى يحلق فى الملكوت ، أحملق فى "الذات" وما أحصى ذاتى عددا ، فمتى ألقاه لأنى أتسربل من شوقٍ وعتاب ، وأنا منذ وجودى ألزم ذاك الباب" .

"غاية"

تفسير

سيجيء زمانٌ ويقال :

- إن قصيدته قد جاءت ما اكتملتْ

- ذاك لأني حين ترجَلتْ

أبصرتُ أمامي الموتْ

ففتحتُ ذراعيَ أعانقه .. فارتد سريعاً .. وخطوتْ

حفرَ الموتُ الحفرةَ ..

.... فكبوتْ !!

بون ١٣/٤/١٩٩٠

الوصية

لا تودّعونى بالبكاء
فامسحوا دموعكم
تجلّدوا فلم أمتْ
ما دام شعرى زهرةً على شفاهكمْ
الموتُ للأحياءِ ليس الموتُ للأمواتِ
فانزعوا حدادكمْ .
غداً سنلتقى وربما أجىء فى نخيلكمْ
فقبّلوا ثماره
وسبحوا لربكمْ . .
وإن أتيتم للقبر ذات ليلةٍ
ولم أكنْ . .
فلْتعرفوا بأننى ما ضقت لحظةً
بل جئتُ نبتة بأرضكمْ
يجىء بعد غيبةٍ لكى ترى عيونكم
فقبّلوا الثرى
وجفّفوا دموعكمْ
وودّعونى باسمينَ كلّكمْ
لأننى وقبلَ أن أموتَ - صحبتى -
أودّ أن أرى تبسّماً على شفاهكمْ

نقوش على جذوع الغابة

هل تغدو تلك اللحظة ذكرى ؟
ودقائق من ماضٍ يُنسى ؟
والحبُّ تجلّى فى أثواب الغابة ،
كى يسمع وقع الأقدام على الأعشاب ،
تلامُس كتفينا ،
وكلام الصمت المتراقص
نظرات عيونك نحوى . .
والهمسُ المتجاذبُ فوق شفاهٍ تتلامس عَبْر عبير الزهر ،
وأصوات الطير الشبقى ،
وكانت أشجار الغابة شامخةً
لكنّا كنّا أعلى من أطراف الأشجار
وكانتْ رائحة الأزهار مشبّعةً بالشهوة والفرح

وكنا ننمو كهلال الليلة .
يتقوّسُ كي يحضن شيئاً
وأنا أحتضن عيونك وظلالي نابتة من ظلّكْ
تتمدّد إذ تتغطّى بظلال الغابة عند الشفق
فأنحتُ فوق ظلال الأشجار :
سهمين وقلبا ،
حرفين وحبًّا
يتشكل من ظلي ظلكْ
يمنحني ظلك غصنًا من ورد
نتراقص فوق الأغصان ، ويهمس صوتُك في قلبي :
- هل تُهْنا ؟ .. هل تُهْنا ؟
فأردّدُ في ذاكرتي : ما عدتُ - فتاتي - أعرفُ شيئا !
سَاعَتَها يتساءلُ كلٌّ منّا : أين الآخر ؟!

بون ١٩٩٠/٥/٢٦

اللعنات

القصيدة مهداة إلى الصديق حسين المزداوى (١)

(١)

قالوا فررتَ فقلتُ إن الحرب فرٌّ ثم كر
بينى وبينك فاصله ،
بين وبينك حزن دهر .
ألقيتنى فى الجُبَ ثم تركتنى
وقتلتنى ثنتين حين أسرت تلك القافلة !
من أين نهرب والطريق الآن تبدو هاربة
حتى خطاوينا التى كانت تمازحنا
اليوم أضحت قاتلة
أما الظلال فقد توارت .
هى فكرة قد لا تجىء
وإن أتت
فلسوف تأتى فاشلة
ماذا يكون الحرف فى دمنا إذا لم يغد سكينًا
وسيفاً كى يقتِّل قاتله . ! !

---

(١) حسين المزداوى أديب من الجماهيرية العربية الليبية .

(٢)

الآن نقتسم القصيدة يا صديقى
ليس بين الحرف فاصلة التقهقر .
ليس وسط الحرف متكأ الهروب
ها نحن نشرى للقصيدة عريها
لنبيد ما قد كان
كى نلقى الذى (هو) لن يكون !
الآن أدرك ما تخبئه علامات التعجب والسؤال !؟
هى مرفأ للحزن
أو سرداب منتجع الهزيمة فى الحروف !
الآن تمنحنى القصيدة خدرها لأموت فيه
الآن تمنحنى القصيدة حرفها لأجىء فيه
الآن نقتسم القصيدة :
خذ حزنها ودماءها
واترك لصاحبك (الذى قد مات) حرفا للكفن !!

(٣)

أوّاه يا حسين

يا دمعة المآق

يا قصة الحقول فى الفصول

يا همسة الفراق

الظلم فى حقولنا مخيّم

واليأس فى شفاهنا معنكب وباق .

وفى العراق ألف نخلة .

وفى الرباط ألف نخلة

وحاجز يصدّ همسها إذا اشتكت

يقتاد دمعها لمخفر إذا بكت

يبيد حرفها إذا ما النيل راقص الفرات

معلقون فى النخيل واحداً فواحدا

والشوك فى القلوب شوكةٌ ، فمخبرٌ

وأنت يا صديقنا تقول لى : هربت ؟!

(٤)

ما ينفع النخيل صمته

ما ينفع المريض صوته

فالداء في النخيل مثمر ونحن جائعون

فنبلع الثمار ، نمضغ النوى

فيثمر النوى هياكل الموات داخلي

فيزحف النخيل نحو داخلي

يصارع النخيل داءه وتهرب الظلال !

مسافرون في وقوفنا

فأين يا صديقنا المحال ؟!

(٥)

الآن تسلمنى القصيدة ما تبقى من بكارتها

خبئ حروفك ، فالعساكر يفتلون حروفها سجنا

"ما أصبح الصبح"

أخذوه واغتالوه باسم الله وّالشعب العظيم ،

وصفّقت كل الأيادى وهى تقطع !

أو كيف للصبح الجميل بأن يجيء

والأرض ما زالت تغلّفها الحدود ،

وتثمر الأسلاك مملكة وسلطنة وقصر أبى لهب !!

والأرض ما زالت حدوداً ، والحدود الآن فى الرئتين ،

والمرىء مقتسمٌ مباح !

أو كيف يأتى والنخيل الآن تذروه الرياح ؟!

(٦)

"القفطى" [١] هنالك فى الغربة يقتات الذاكرة الثكلى،
يبنى للنيل نُهيرا فوق "الراين"
يفجؤنى : مَن ذاك القادم كى يقتلع الأشجار الموءودة فى القلب ؟
ومن ذاك المتسربل بالحرف ؟
فيجيب النورس : ذاك غريب قد نسى الإسم
فأسأله : هَبْ لى إسما من عدم
وامنحنى موتًا من بعث
وابعث لى "آدم" إذ علّمه "الله" الأسماء ؟
يقول الراين : القفطى صديقى إن سافر يأسره الحزن .
وتقتله الغربة !
فأردد : "القفطى" صديقى إن مات تسامره الأرض ، وتبعثه الكلمة !!

بون ١/٩/١٩٨٩

(١) القفطى نسبة إلى مدينة "قفط" بصعيد مصر وإليها ينسب الشاعر .

حكاية وهامش

(١)

كنا ننظر لمدينة "بونٍ" من فوق الجبل
وكانت تبدو كفتاة توشك أن تنزع شفتيها
من قبلة عاشق !

(٢)

ما زلتُ كما كنت
وما زال الناس كما كانوا
ما زالت كل الأشياء كما كانت
أما أنتِ ،
فما صرتِ كما كنتِ
لأنك أنتِ الآن بقلبي

(٣)

مَن فض بكارتك

قالت : الحلم !

(٤)

مَن ؟

(٥)

مَنْ ألقى فى صندوق بريدى هذا الجمر ؟

مَن منذ قليلٍ فوق شظايا قلبى مَر ؟

هامش :

كان الصباح إذا أتى

يأتى ليأتيَنا المساء !

بون ، يوليو ١٩٩٠

برلين

برلين فاتنةٌ تمشّط شعرها الغجرى فى رئتى ،
تكتب قصة المشتاق ، تفجؤنى :
للحزن رائحةٌ بصدرك ،
أى شىء باعث للحزن فى بلد يموج الفرح فيه ؟
وتقول فى لغة الصغار :
"تعال ... ذاك الشرق فى عينيك يُغتصبُ
لماذا أنت - فى برلين - للأحزان تحتطبُ ؟
نخيل الشوق فى رئتيك.يثمر صرخةً ثكلى
فدعنى الآن فى رئتيك - أغتربُ !

برلين تبحث فى فؤادى عن مكان
وتعود غاضبة لتسألنى
عن الشرق الذى سرق الفؤاد مع الزمان
الشرق يأتى فوق خيل مدينتى نيلاً ،
فأبحر فيه ، أتركها
فتصرخ : لا ؛ لماذا أنت نحو الشرق ترتحلُ ؟
وذاك الشرق فى عينيكَ موءودٌ ويكتحلُ
ماذا عن الأسوار فى برلين ؟
ترقص رقصة النشوى
ألملمُ حزن أوطانى ،
فتركض نحو خارطتى ،
أيا شرقى ودّع حزنك الأبدى
أين جوادك العربى تردفنى ،
ونحو الشرق نركض ..
علّنى بالشرق أغتسلُ
أقول بلوعة المشتاق : معذرة
أيا برلين أعشقُ فيك أيامى
ولكنّا على الأحزان نفترقُ !!

برلين (ألمانيا الشرقية) ٢٧/١٠/١٩٨٩

مرثية الشيخ خير أبو صالح

ستضحكُ عند سماعك تلك القصيدة
لكن ستهذى بها ..
ما الذى قد دهاك ؟
ألم يضحك الموت "حين دنا فتدلى
فكان قاب قوسين
أو أدنى"
ألم يخجل الموت حين يُميت الزمن ،
ويسرق فصل الرواية
ألم يركضِ الموت حين رفعت عصاك ،
وأطلقت بالحزن صوتك
أرسلت طرف ردائك ،
علّ موتك يرتد - يا صاحبى - مبصرا !
ها أنت مت ..
أخيراً .. تمنيت لو لم تمت

تمنيت أن الزمان يشيخ وما زلت كهلا
يقصّ الحكايا
ويلهى الصبايا
تمنيت لو لم تمت
أرى الآن قبرك يغدو ضريحاً ،
وتجلس مثل "النقيب" على عتبة المقبرة
ويأتى الضحايا
ويرقص حولك سرب الظباء
تجمعن حولك
ألقين – جنبك – أكفانهن ،
اهتززت على دبكة المسبحة
ها أنت تفتح أذنيك علّ العذارى سيلقين أوجاعهن
ويرتحن وسط القبور التى آثر الليل أن ينسج الأثل على بابها
ها أنت تضجر يا شيخنا بالكفن .
وتحكى عن الحب والحزن والموت
تمتح دلو الحديث من الجب فى الذاكرة
أنت تحكى وتضحك
أنت تحكى وتبكى

ها هى الأرض تفتح للموت قبراً فيمضى
ينام بجنبك
أنت كاهن تلك البلاد التى آثر الصمت أن يستبيح جماجمها ،
آثر الحزن - يا صاحبى - أن يسوّد أكفانها
أنت همس العويضات عند احتضار القريب وعند افتقاد البعيد
سوف يسأل عنك الرفاق بدكان "يونس"
أنت يا صاحبى قصة ظامئة .
أخيراً تمنيت لو تمت
لماذا وددت الرحيل ؟
فهل أغضبتك الحياة
فرحت تفتش فى الموت عن القصة خالدة ؟

وجـــوه

ذاكرتي الآن تلفظ أنفسها الآخرة ..
السحاب الذى كنت أرقب يجثم في صدري ناراً تلظّى
والوجوه التي كنت أرسم لا تنبئ الآن إلا بقرب الرحيل
ترحل الآن كل السفائن والأشرعة
البحار الجميلة ترحل والطمي يلقى القصائد
يا طمي: إنا عشقناك، إنا كتبناكَ حرفاً جميلاً وظلاً ظليلا !

وجه ١

من رُبى الليل تدنو الجراح

ومن كبوة الحلم يأتى الصباح

الظلال التى دثَّرتنى فى الليل ترحل والموت فى هدأة الروح يدنو

يسلّم ظلى للَيل والليل يُسْلمنى للرياح

ارحل الآن .. لا تمكث اليوم ، إن القصائد لا تمنح الآن قصراً

ولا ينجب الشعرُ عمرا .. بلى ، يحفر الآن قبرا

إنها تركض الآن

يا أيها الحلم قاوم

اكتب الآن أغنية للرحيل ..

انسج الآن أنشودة للخلاص الجميل

والليلِ ، والصبحِ ، والفجرِ والحلمِ .. والمقسمات التى يعرفون

وقد يجهلون ..

فلا الأرض والحلم والحرف تكفى إذا قلت :

إنى أحبك

وجه ٢

وجه ألمحه

يأتينى فى السحر الراكض فى أعماقى

يوقظ أوردةَ الليل ، يفك مسابح حلمى

حين أقاوم وجهك أدفع هذا الوجه بكل قواى

فيرتد الوجه الأوحد

يثمرنى رطبا

ألقى وجـهك فى الشـرفة ، فى أوراقى الملقـاة بذاكـرة الليل

فألمح وجهى

وجه ٣

أتوقف ركضاً كى أمنح أرضى شارة ملكى

لكن الأرض الحبلى بالحلم تنوء .

ويجىء مخاض

يسّاقط حلمى كجذوع النخل المتصارع فى شريان القلب ،

أدثر حلمى

كان الحلم الأوحد "أنت"

وجه ٤

السماء التى راودتنى تحن إلى جذع نخلى

والنخيل الذى كان كالليل ينفض أوزاره فى الصباح

النخيل استوى ربوة هامسة ..

ها هى الآن تعطى القصيدة لمس الأصابع فى الهاجرة

ها هى الآن تمنحنى نظرةً من يديها ،

فألمس فى شاطئ العين بعض المراكب فى راحة اليد تدنو ...

وعند الشواطئ أسأل كل الوجوه القديمة عن مرفئى

فتأتى العواصف تسأل عن قاربى !

وعن فارس كان يصرع كل الوجوه

فتسّاقط الأوجه الصامتة !

العويضات ١٩٨٧

الرهان

إنها قصةٌ واحدة
ما الذى يبْتغيه الهوى ؟
والهوى جمرة مطفأة
الجواد امتطى خيله الساكنة
سيد وحده
زائلٌ غيره

وَجَهَ الخيلَ فى صمته
قاتلٌ من أتى سابقاً
من أتى لاحقاً
فالرهان المقام على خيله الميتة !
آه يا خيلنا

تصنع الخيل فى موتها قصةً للوجود
ويصنع منها الشكيمة ،
حتى إذا جاء بعثٌ فلن تستطيع الكلام
فالشكيمات قد قصفت حروف التشكّى
تركتنا ألسنة باحثة عن لغة . . . !
تدفن الخيل جنب الشكيمة
إذ يئدون القبور فتمشى على همسها
زلزلى يا قيامتنا الآخرة
وابعثى الخيل دون الشكيمات
إنها الغزوة الحاسمة
ما الذى يبتغيه الهوى
والهوى جمرةٌ قاتلة . .
مزّقى لونه القرمزى
اقتلى الليلة الحاكمة
إنها قصتان :
بادئةٌ . . خاتمة !!

طرابلس ٣١/٧/١٩٨٩

الأرواح

تتساقط الأشجار من حولى فتذرونى الرياح
والموت فاصلةٌ تدمدم
للقصيدة حزنُها الأبدى لكن ..
للموت قصتُه الوحيدة ،
والقصائد قصةٌ تنمو ويكتبها لنا الوقت
الوقت نصرعه ، فيصرعنا
تبقى القصيدة هكذا :
"للموتِ مبتدأٌ وموت" !!

الروح الأولى

حين تلف النورج فوق الصخر
تتطاير روحى شذراً
لكن حين تلف النورج فوق الثلج
يتمزق قبرى إربا
تتآمر روحى ضد خلايا جسدى
إذ ينخر فيه الشوق ، فأبصره
يتحلّل جزءاً ، جزءا
يتلاشى شلواً ، شلوا
يتطاير جسمى عبر بخار رؤاى ،
فتأتى روحى تبحث عن جسدى !.
وتظل الأرواح / الأجساد ظلالا للأشياء !!

الروح الثانية

ها أنتِ نائمةٌ على كفنٍ تضمّخ عطرُه حزنا

وتنتظرين ، علَّ القادم الآتى يكون "أنا"

وتبتسمين ،

مَنْ ذاك الذى سيجىء يعلن أننى نحو الطريق ؟

ماذا هناك تعملين ؟

الرحلة الأولى هنالك موتةٌ، لكننى أحيا هنا والموت بين ثيابى الملقاة فوق عناكب الأرواح يفجؤنى، ترى ماذا تود الآن أمنية ؟

فأبصر وجهك الكونى يمسح ربوة الأحزان فى قلبى أعانق روحك الظمأى إلىَّ فأبصر الأجسادَ ميتةً تعانق دونما جسدٍ ، وآه .. قد نسيت الآن أين "أنا" ؟ وأنتِ الآن نائمة على قبرٍ

توسّدَ سدرة الأحزان تنتظريننى شوقاً ..

سآتى الآن ألقى هَمَّ أوجاعى بلا روحٍ ولا جسد !!

الروح الثالثة

كان ما بيننا قصة تصلح الآن أن تحكي

أنتِ حدثتني عن إيابٍ قريبٍ .. وما طلتني

أنتِ عانقتني عندما كنت طفلا .. ومازحتِني ..

كانت الأرض كالأرض

لكنه الوقت ، لا .. إنه "الآن" يبحث عن "آنه" !

كان ما بيننا صهوة للرياح ..

خادعتك الرياح ..

خادعنا الموت غيَّر من خطته

يخطف الموت من مات ، يسبح في الكون ،

معذرة أشعر أني نحو فضائكِ أعلو !!

الروح الرابعة

ماذا تبقّى من حكايا الموت للأموات قد تحكى ؟ ،

وفاتنتى تمشّط شعرها الغجرى صوب هياكل الأبصار

ترتعد القصيدة عندما تأتى ..

فتستند الحروف على القبور كأنها جثث وهام !

آتى أمشط شعرها علَّ الحروف تغوص فيه ، لعل من

قد مات يأتى فى قصائدنا .

فتسألنى :

"هل للموت كذلك روح"

أم أن الموت تشكّل من روحٍ ماتت ؟

والحرف سيبقى لكن :

مَنْ سيكون هنالك يُبعث ؟

السويس ١٩٨٣

وداعاً

أحبائي .. أودعكمْ
وأعلم أنني نبتٌ تغذت منه طينتكمْ .
أودعكم لأن سماءنا بخلت بماء المزن كي تروى حدائقكمْ ..
وأن الأرض قد ضنَت بطينتها عن الإنسان منبتكمْ
وأن فضاءنا رحبٌ ، ولكنْ ضاق يا صحبى بشاعركمْ !
أودعكم ..
وقلبى فى دجى الليل يكسِّر سوره الصدرى ،
يسرق من دمى كلى ..
يضخ دمى فينبت فى مزارعكمْ !
ويفنى الجسم أنساماً تقبّلكمْ ..

أودعكمْ ..
ولكني إذا مت ستأتي الروح من قبرى
ترفرف في زهوركمُ .
وظلّي .. آه لو يمتد من "بونٍ" فيسجدُ فوق أرضكمُ
أحبكمُ ..
وأُقسمُ أنه ما مرَ يومٌ دون ذكركمُ
وإن أبصرتُ مرآتي رأيتكمُ !
أنا قد عشت من أجلي ..
وأجلي عاش - يا صحبي - لأجلكمُ !!

بون ١٠/٨/١٩٨٨

الفهرس

د. محمد أبو الفضل بدران

وُلد في قرية العويضات مركز قفْط بصعيد مصر ، وأتمَّ تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي بقفط ثم التحق بكلية الآداب بقنا (جامعة أسيوط) وحصل على ليسانس الآداب الممتازة في مايو ١٩٨١ .

التحق بالخدمة العسكرية حتى ١٩٨٣ وعُيِّن بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بقنا (جامعة أسيوط) وأتم دراسته لنيل درجة الماجستير بكلية الآداب بسوهاج حيث حصل على درجة الماجستير في ١٩٨٥ بتقدير "ممتاز" وكان موضوع أطروحته "دور الشعراء في تطور النقد الأدبي" .

عمل مدرساً مساعداً بكلية الآداب بقنا حيث بدأ دراسته لنيل درجة الدكتوراه حول موضوع "قضايا النقد والبلاغة في تراث أبي العلاء المعري" وسافر إلى ألمانيا في بعثة علمية للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة بون بالاشتراك مع جامعة أسيوط حيث حصل على الدكتوراه في ١٩٩٠ "مع مرتبة الشرف الأولى" ؛ وعُيِّن بعدها مدرساً بكلية الآداب بقنا ثم عمل مدرساً للغة والنقد والأدب بكلية الألسن بجامعة بوخوم بألمانيا ؛ كما حصل على منحة مؤسسة "همبولت" العالمية حيث ظل من ١٩٩٤ حتى ١٩٩٦ أستاذاً زائراً بكلية الآداب بجامعة بون ثم عاد إلى مصر حيثُ رُقي بأبحاثه إلى درجة أستاذ مساعد وشغل وظيفة رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة جنوب الوادي بقنا) ثم شغل وظيفة وكيل الكلية ؛ وفي عام ١٩٩٨ أُعير للعمل بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الإمارات العربية المتحدة وما يزال بها .

أشرف على عدد من الرسائل العلمية لنيل الماجستير والدكتوراه .

أصدر العديد من الكتب ؛ منها :

ديوان "النوارس تحكي غربتها" (شعر) ط. دار الغد ، القاهرة ١٩٩١ .

كتاب "دور الشعراء في تطور النقد الأدبي" ط. السلام ، مصر ١٩٩٢ .

- كتاب "قضايا النقد والبلاغة فى تراث أبى العلاء المعرى" ط. السمان ، مصر ١٩٩٢ .
- كتاب "رؤى عروضية" ط. مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٩٤ .
- تحقيق "كتاب العروض لعلى بن عيسى الربعى" ط. المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ، سلسلة النشرات الإسلامية ٤٤ ، بيروت ٢٠٠٠ .
- هذا بالإضافة إلى أبحاثه حول الشعر والرواية والاستشراق والعروض باللغتين العربية والألمانية وقد شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية فى العالم ؛ كما نشر قصائده فى الصحف والمجلات العربية والألمانية ؛ وقد أقام عدة أمسيات شعرية بالدول العربية وألمانيا .

من قائمة الإصدارات الأدبية

العنوان	المؤلف
أنشودة للبكاء	إبراهيم أبو طالب
رويداً باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
سبع سحابات (دانتيللا السماء)	إدوار الخراط
قصائد حب من العراق (البياتي وآخرون)	إعداد : بثينة الناصري
مختارات	جليلة رضا
رعشة كأس	جمال إسماعيل مدكور
من أعلى بمحاذاة الموسيقى	جمال القصاص
لا تدعني أرتحل	حنان عبد القادر
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
تماماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمري
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
يوميات غجرية عاشقة	ريتا عودة
تصبح علي خير	سعدني السلاموني
أن اغربي لداخلي	سلمان الشعشاع
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبرى السيد
دنيا تنادينا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر - النجوم - العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
يوم مات زهر الليمون	عبد الله أبو حسين
أسفل الممر	عبد الله عرايس
حواديت لفندى	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى
أوراد عاهرة تصطفيني	د . علاء عبد الهادى
راتب الألفة	علوان مهدى الجيلاني
على المواجع	على السويدى
إضاءة في خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
بيت يمر بالبرارى	فاروق خلف
العالم يستبدل ثيابه	فرج أبو شينة
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
لسه الأغانى ممكنة	كوثر مصطفى

العنوان	المؤلف
اذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
آية المستريب	مجدى أبو زيد
الغربة والعشق	مجدى رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
ديوان بدران	د. محمد أبو الفضل بدران
ونس	محمد الحسينى
غربة الصبح	محمد الفارس
حبيبتى والخيل الضفيرة	محمد صلاح الدين
ليالي العنقاء	محمد محسن
لو أنك يا حب تجيء	ناجى عبد اللطيف
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
أجمل الألهات تبكى (نصوص)	نداء خورى
الأمل وأحلام النورس	ياسين الفيل

العنوان	المؤلف
فكر وابداع .. إصدار علمى محكم	د. حسن البندارى
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم النقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم النقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم النقبه
الخطابة عند الخوارج	أحمد بدران
التوجهات النقدية فى رواية عودة الروح	أحمد بدران
أثر الإسلام في الأدب الإسبانى	د. حامد أبو حمد،
الوقوف علي الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
عبد الله البردونى .. حياته وشعره	د. أحمد عبد الحميد
الإنسان والفكرة	أحمد المهنا
قراءة المعانى في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
مغامر حتي النهاية	إدوار الخراط وآخرون
اللغة والشكل	أمجد ريان
من حديث الشعر والشعراء	د. جميل علوش
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشى
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
الصنعة الفنية فى التراث النقدى	د. حسن البندارى
جدلية الأداء التبادلى	د. حسن البندارى
تقاسيم نقدية	زينب العسال
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم

العنوان	المؤلف
رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
البواكير فى القصة القصيرة	شوقى عبد الحميد
الثقافة الشعبية وأوهام الصفوة	د. صلاح الراوى
إنتاج الدلالة الأدبية	د. صلاح فضل
منهج الواقعية في الإبداع الأدبى	د. صلاح فضل
تأثير الثقافة الإسلامية فى الكوميديا الإلهية لدانتى	د. صلاح فضل
محبة النص (دراسات نقدية)	عزازى على عزازى
المتمرد والصعلوك (قراءة جديدة فى أشعار عروة وعنترة)	عزازى على عزازى
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثا عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام في الأدب العالمى	على عبد الفتاح
محمد مندور شيخ النقاد	فؤاد قنديل
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
الهندسة الصوتية الإيقاعية فى النص الشعرى	د. مراد مبروك
في المرجعية الاجتماعية للفكر والابداع	محمد الطيب
أبو رجل مسلوخة	محمد مستجاب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديرى
الرواية فى زمن الغضب	ممدوح القديري
الرواية العربية : رسوم وقراءات	نبيل سليمان
يحدث أحيانا	هبة عنايت
إشكاليات التأصيل فى المسرح العربى	هيثم يحيى الخواجة
يوسف الشاروني وعالمه القصصي	د. نعيم عطية
معجم أسماء قصص يوسف الشاروني	مصطفى بيومي
فى الأدب العُمانى	يوسف الشارونى
القصة .. تمردا وتطورا	يوسف الشارونى
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقًا	أحمد عمر شاهين
الثلاثية الروائية	د. أحمد إبراهيم الفقيه
ظل باب	أحمد محمد حميدة
وقائع غرق السفينة	إدريس على
واحد ضد الجميع	إدريس على
المبعدون	إدريس على
صخور السماء	إدوار الخراط
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
يقين العطش	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
حذاء السيد المنسى	أشرف العوضى
عندما تبيض الديوك	أمجد صابر
لا أحد يحبك	أمانى فهمى
همس العاشقين	أمين بكير
حكايات من دفاتر النسوان	أمين بكير
الخيول الشاردة	بهى الدين عوض
دنا فتدلي (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطانى
مطربة الغروب	جمال الغيطانى
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص	د. جمال التلاوي
المتعبون	جمعة محمد جمعة
دموع إيزيس	حسنى لبيب
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
قطار الساعة ١٢	السيد الشوربجى
أيام هند	سيد الوكيل
كف مريم	سعيد سالم
سفر الموت	شاطبى يوسف ميخائيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
أيام الغربة الأخيرة	صالح سعد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
الخرابة	د.عبد الرحيم صديق
الغربان لا تختفي أبدًا	عبد الفتاح صبري
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد	عبده خال
آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسوانى
صَعيدي صَح	د. عزة عزت
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
سراديب	عفاف السيد
بينارو	د. على فهمى خشيم
حكاية شمردل	عمار على حسن

جنية الشفق (قصص شاعرية قصيرة جدا)	د. فاروق أوهان	الهروب مع الوطن	ممدوح القديري
البحر يغرق	د. فاروق أوهان	فوق لهيب الشموع	ممدوح القديري
وجهها وطن	فاطمة يوسف العلي	ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلي	دم الأبنوس	ناجي الشكري
شفيقة .. وسرها الباتع	فواد قنديل	ويصدأ ماء النهر	ناصر الهلابي
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى	حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة	قمر أخضر	نهلة السوسو
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة	ديسمبر الدافئ	هدى جاد
حب وظلال	كوثر عبد الدايم	أيام زمان .. أين أنت ؟	د. هشام قاسم
ترانزيت	ليلى الشربيني	خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
مشوار	ليلى الشربيني	فرد حمام	يوسف فاخوري
الفتيت المبعثر	محسن الرملي		
المينا الشرقية	محمد جبريل	أنا كنده	ترجمة : رزق أحمد
مد الموج	محمد جبريل	تحولات الجحش الذهبي	ترجمة د.على فهمى خشيم
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوى	الحواس	ترجمة محمد عيد إبراهيم
كوميديا الانسجام	محمد بركة	الهايكو - رحلة حج بوذية	ترجمة محمد عيد إبراهيم
طوفان النار	محمد حافظ صالح	زهرة الصيف	ترجمة نجاح سفر
عبور الميدان ظهراً	محمد سليمان		
أشياء لا تموت	محمد صفوت	هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقى الدجانى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى	الدمية والدم	أنور عبد المغيث
حبال من رمل	محمد علي سعد	الأمل الخالد	د. شوقى سعد
لوحة ممنوع	محمد علي سعد	الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
حريم .. (أعزكم الله)	محمد الغربى عمران	انشطار التاج (مسرحية شعرية)	محمد أحمد حمد
الخروج إلى النبع	محمد قطب	اللعبة الأبدية .. (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
يا عم يا جمّال	محمد الناصر	احضنوا الشمس/المولود مفقود	محمد كمال محمد
الحياة الذروة	د. محمد نعيم شريف	ابن عروس/الفلاح الفصيح	محمد نصر يس
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش	مملكة القرود	محمود عبدالحافظ
اختزال في المسافة والسفر	محمود الورواري	محرقة سافونا رولا	ميلاد حكيم
الضياع وجبل الأوهام	ممدوح القديرى	شهيق الحلم	هيثم يحيى الخواجة
الهبوط إلى الجنون	ممدوح القديرى		

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ رواية .. قصة .. دراسات ونقد
وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة فى الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز